البردة بين محمد على مخلوف وأبى زيد إبراهيم سيد
دراسة فنية ونقدية

د/ كمال محمد محمد عبد الرحمن مخلوف

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

فى كلية دراسات قنا

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لـــولا أن هدانـــا الله، ونصلى ونسلم على خير خلق الله، محمد صلى الله عليه وسلم وعلـــى آله وصحبه ومن والاه.... وبعـــــــــد،،

تيمنا بذكرى ميلاد المصطفـــى - صلـــى الله عليـــه وســـلم - واستلهاماً للعبر التى حدثت ليلـــة مولـــده الشـــريف فكـــانت بواكـــير خير للبشرية وعلامات هدى بعد ضلال غرقت فيه الأمم رقا وجهالـــة ووثنية ...أشرق بصيص النور يلمع بين جنبات مكة ثم ما لبث أن عم الوجود عدلا وإخاء ومساوة وإفراد العبودية لله وحده. ومـــن رحـــاب الحب ومن شذى السيرة العطرة التى عم طيبها الآفاق اخترت بحثـــى عن البردة بين محمد على مخلوف وأبى زيد إبراهيم سيد دراسة فنيـــة ونقدية وقد جاءت مباحث الموضوع على ما يلى:

مقدمة فتمهيد ثم البردتين والتعريف بصاحبيهما، ثم الموازنـــة بين الشاعرين من ناحية الغرض والوحدة العضوية، والبحرالذى تنتمى إليه كلا القصيدتين، ثم العاطفة والتجربة في القصيدتين، ثـــم الألفـــاظ والأساليب وخصائصهما، ثم ذكرت الصـــور الأدبيـــة والأخيلـــة لـــدى الشاعرين.

وتحدثت عن الأوزان والموسيقى لدى الشاعرين ثـــم ختمـــت بحثى بخاتمة موجزة ثم قائمة المصادر والمراجع والفهارس.

تمهيد :

تعد القصيدتان اللتان تناولتهما بالدراسة من المدائح النبوية حيث إن المدائح النبوية من فنون الشعر التى أذاعها التصوف، فهى لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص وأكثر المدائح النبوية قيلت بعد وفاة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء ولكنه فى النبي - صلى الله عليه وسلم -يسمى مدحاً كأنهم لاحظوا أن النبي -عليه الصلاة وأزكى السلام - موصول الحياة، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء[١].

وإن موضوع المدائح النبوية كان لا يزال مجالا خصباً لإبداع المبدعين من الشعراء، وإذا كان قد تفرد فى هذا المجال شعراء عظلم قديماً وحديثاً أمثال " حسان بن ثابت وكعب بن زهير وشوقى وغيرهم " فإن الباب سيظل مفتوحاً - على مصراعيه - لإبداعات جديدة فى هذا المجال. ومن هذا الباب المفتوح أمام كل موهبة أصيلة دخل شاعرانا " محمد على مخلوف وأبو زيد إبراهيم سيد " وقد بدءا مطلولتيهما.

ومما لايدع مجالا للشك أن شاعرينا كليهما قد تأثرا فى فى قصيدتها " طراز البردة ونهج نهج البردة " بالبوصيري فى بردته وشوقى فى نهج البردة، فصاغ- المرحوم - " محمد على مخلوف "

---

[١] انظر المدائح النبوية لزكى مبارك ص ١٤.

طراز البردة على نمط بردة البوصيري وإن كلمة الطراز فـــى اللغــة بمعنى " النمط والشكل "[١]، كذلك صاغ المرحوم – أبو زيــد إبراهيــم سيد " نهج البردة " على نمط " بردة " البوصيري و " نهج البــوردة " لشوقى ولم يكن شاعرينا هما الوحيدان اللذان تأثرا واقتديا بالبوصيرى فى " بردته " بل سبقهما أمير الشعراء " أحمد شوقى " فى قصيدتـــه " نهج البردة " حيث تأثر بالبوصيرى فى " بردته ". ويندرج هذا النـــوع تحت فن المعارضة وهى في اللغة مصدر فعله " عـــارض " وإن هــذا الفعل له عدة مدلولات لغوية والذى يعنينا هنا ما قاله ابن منظور فـــى كتابه " عارض الشئ معارضة : قابله و فــلان يعــارضى : يبــارينى ويقال : عارض الشئ مثل صنيعه وأتى إليه مثل ما أتى وكأنه عــوض فعل هذا مثل عرض فعل الآخر[٢].

أما المعارضة بالمعنى الأدبي هى أن ينظم الأديب – خصوصــا الشاعر ما نظم الآخر من القصائد متقيدا بالموضوع والبحر والقافيــة سواء وافقه في المعنى أو خالفه. ومما لاشك فيه أن فــن المعارضــة قديم تمتد جذوره إلى عصر الجاهلية فقد ورد في الأغاني[٣] ، أن امــرأ القيس قد أنشد قصيدته يعارض بها قصيدة علقمة بن عبدة، وحكمــاً " أم جندب " وهى زوج امرئ القيس.

---

[١] أنظر المعجم الوجيز ص ٣٨٩

[٢] القاموس المحيط للفيروزآبــادى (٢ : ٣٣٤) الهيئــة المصريــة العامــة للكتــاب (١٣٩٨هـــ – ١٩٧٨م) ولسان العرب لابن منظور

[٣] راجع الأغاني لأبي الفرج الأصفاني فى (٧ : ١٢٨) طبعــة دار الكتــب، وديــوان امرئ القيس ص ٤٠ تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.

فقال امرؤ القيس قصيدته التى أولها :

خليلى مرّابى علـــى أم جنـــدب نقض لبانات الفؤاد المعـــذب

وأنشد علقمة قصيدته يعارضه والتى أولها:

ذهبت من الهجران فى غير مذهب ولم يك حقا طول هذا التجنب

فحكمت أم جندب لعلقمة على امرئ القيـــس وفضلتـــه. فقـــال امرؤ القيس لزوجته، بم فضلته على ؟ فقالت أم جندب : فـــرس بـــن عبدة أجود من فرسك. قال : ولماذا ؟ قـــالت لـــه: سـمعتك زجـــرت وضربت وحركت ..إذ قلت :

فللساق ألـــهوب وللسـوط درة وللزجر منه وقع أهوج منعـب

وأدرك فرس علقمة ثانياً من عنانه إذ يقول:

فأقبل يهوى ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

وهناك نماذج أخرى لفن المعارضة فى العصر الجاهلى ومنـــها على سبيل المثال لا الحصر ما فعله زهير بن أبى سلمى مـــع أســـتاذه أوس بن حجر فعندما قرأ قصيدة أستاذه أوس بن حجر والتى أولها[1]:

تنكرت منا بعـــد معرفـــة لمـــى وبعد التصابي والشباب المكرم

عارضه بمعلقته المشهورة والتى أولها:

أمن أم أو فى دمنة لـــم تكلـــم بحرمانه الـــدارج فـــالمتثلم

وقد يعارض شاعر معاصر شاعرا معاصراً له، وقد تكون المعارضـــات لأزمان بعيدة تفصل بينهما قرون طويلة، كما حدث فى عصرنا هذا.

---

(١) أنظر فى الأدب الجاهلى ص ٢٩٧ الطبعة الثالثة ص ١٩٣٣م.

التعريف بمحمد على مخلوف :

ولد شاعرنا " محمد على مخلوف " فجر يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر شعبان سنة (١٣٣٨هـ- ١٩١٦م) بقرية بنى عدى الوسطى التابعة لمركز منفلوط التابعة لمحافظة أسيوط. ولقد نشأ شاعرنا فى هذه القرية التى ولد بها والتى تشتهر بحفظ القرآن الكريم وبالعلم حيث إن معظم رجالها ونسائها متعلمون. ولقد تعلم شاعرنا مبادئ القراءة والكتابة فى مدرسة بنى عدى الأولية وقد استمرت ثلاث سنوات، ثم التحق بعد ذلك بمكتب تحفيظ القرآن الكريم وكان رئيسة فضيلة الشيخ حسن على طلب وقد حفظ القرآن الكريم كله وجوده برواية حفص، كما حفظ " متن الجزرية " فى التجويد ورسالة ورش من (الشاطبية) ثم التحق بالأزهر بمعهد أسيوط الديني سنة (١٣٥٤هـ - ١٩٣٤م) ثم حول بعض مضى شهر إلى المعهد الأزهرى بالقاهرة واستمر فيه حتى حصل على الابتدائية سنة (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) ثم انتقل إلى القسم الثانوي ومكث فيه ثلاث سنوات ثم حول إلى معهد أسيوط الديني فقضى به السنتين الرابعة والخامسة وحصل على شهادة الثانوية الأزهرية سنة (١٣٦٤هـ - ١٩٤٤م) والتحق بعد ذلك بكلية اللغة العربية فى القاهرة وتخرج منها عام (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م) ثم عمل بالصحافة فى قسم التحرير بجريدة الأهرام فى سنة (١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م) مع الأستاذ الصحفى الكبير(أحمد الصاوى) وكان زميله فيها " أنيس منصور " والدكتور " على الحديدى " وغيرهما ولكنه فضل العمل فى التدريس ببلده لظروف أسرية اضطرته إلى ذلك وترك العمل بالصحافة آسفا

وكان مخلوف – رحمه الله – على اتصال وثيق بمجلة الرسالة والثقافة وقد نشرت له عدة قصائد شعرية فى مجلة الرسالة كما نشرت له عدة قصائد فى مجلة الثقافة فى عهديها الأول والثاني.

ولقد تمتع شاعرنا بثقافة واسعة وله عدة مؤلفات شعرية ونثرية وعلى رأسها ديوانيه (أحلام يقظان) طبع فى عام "١٩٩٧م" بعد وفاته بعدة أعوام، وديوانه الثاني " ألحان ثائرة والذى لم يطبع كاملاً بعد ويبلغ عدد أبيات " أحلام يقظان " (١٤٥٦) بيتاً بينما يبلغ عدد أبيات " ألحان ثائرة " (٢٢١٦) بيتاً وبذلك يكون مجموع أبياته الشعرية كلها (٣٦٧٢) بيتاً . أما مؤلفاته النثرية قد بلغ عددها خمسة وعشرين مؤلفاً[١].

ولقد عمل " محمد على مخلوف " مدرساً للغة العربية والتربية الدينية الإسلامية في وزارة التربية والتعليم وكان مدرساً ناجحاً فى مادته العلمية مخلصاً في عمله، ذاع صيته بين زملائه فى محافظة أسيوط وأخذ يتدرج فى ترقيته حتى صار موجهاً أول للغة العربية بمديرية التربية والتعليم فى أسيوط واستمر فى هذه الوظيفة حتى أحيل إلى المعاش مبكرا بالقرار (١١٢) لسوء صحته خاصة بعد استشهاد ولده الملازم أول "عصام محمد على مخلوف" فى حادث الإرهابيين بمحافظة أسيوط وكان شاعرنا يتصف بالتواضع والوفاء، والصدق والإخلاص والنزعة الدينية، والعفة والنزاهة والبداهة

---

[١] تاريخ بنى عدى لمحمد على مخلوف المتوفى (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م) طبعة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م).

والفطنة، كما كان يشتهر بروحه المرحة وبالدعابة والفكاهة أحيانا وتوفى - رحمه الله - في اليوم الثاني من شهر رمضان عام (١٤٠٩هـ - ٢٧ أبريل عام ١٩٨٩م) ودفن بجوار قبر ابنه الملازم أول " عصام محمد على مخلوف " ببلدته بنى عدى القبلية - عليهما رحمة الله - وأسكنهما الله فسيح جناته - إنه نعم المولى ونعم المجيب.

١٧

طراز البردة
لمحمد علي مخلوف

أترع لى الكأس يحلو رشفها بفمى ... إنى إليها على قفر الحياة ظمى
فكل من شربوا في الليل قد طربوا ... ولم أزل حالماً بالكوثر الشبم[١]
أراك تزور عنى غير مكترث ... كأننى بك ياذا الحسن لم أهم
أتيت جرمًا عظيمًا فى هواك ولو ... تجود بالصفح عن جرمي عصمت دمى
لم أدر أن الهوى نار " مضرمة " ... وأن أفئدة العشاق فى الضرم[٢]
ويح المحبين ما انفكوا أولى شجن ... وشملهم بالتنائى غير ملتئم
مسهدون ولا يرثى لهم أحد ... وهم أحق الورى بالعطف والرخم[٣]
قلبي معنى وجمر الشوق يحرقه ... هلا رفقتم به ياساكنى إضم[٤]
لهفى عليه عراه اليأس وانصرمت ... لذاته وبراه لاعج السقم
يا ليت أيامنا بالوصل راجعة ... والزهر في الروض يحكى ثغر مبتسم
والغيد نشوى بخمر الدل فى مرح ... يأسرن باللحظ أو يسحرن بالكلم
من كل هيفاء مثل الغصن قامتها ... قد عمها الحسن من فرع إلى قدم
تهفو إلى البان من قلبي جوانحه ... وما بى البان بل غزلان ذى سلم
كل المباهج فى ظل الصبا فإذا ... ولى فلن تجد اللذات فى الهرم

---

(١) الشيم محركة : البارد . انظر القاموس (٤ : ١٣٢) .
(٢) الضرم : النار المشتعلة . قاموس (٤ : ١٤٠) .
(٣) الرخم : الشفقة : والمحبة واللين . قاموس (٤ : ١١٦) .
(٤) إضم : الوادى الذى فيه المدينة المنورة ــ على ساكنيها أفضل السلام . قاموس (٤:٧٤)

أتوب من شرك قلبي في هوى قمـو ... سنا محياه يمحو حندس الظلـــم
فحلية المرء بين الناس عفتـــه ... وما تسامى من الأخلاق والشيـــم
والجاه يذهب والأمـــوال فانيـــة ... والنفس تتبعها الأعمال في الرجـــم[١]
والنفس تخدعها الدنيـــا بزخرفهـــا ... وتطبيها[٢] بألوان مـــن الطعـــم[٣]
كأنها صخرة صماء قد صلـــدت ... فما تحرك من عصف ولا نســـم
يقودها وازعٌ منها إلى رشـــدٍ ... ولاتقاد بأمراس[٤] ولا خطـــم[٥]
تغشى السعادة أهل الأرض قاطبـــة ... إذا تمسك أهل الأرض بالقيـــم
وإن تخلوا فقد حاق الشقاء بهـــم ... وعاجلتهم يد الأقدار بالنقـــم
ألوذ بـــالمصطفى فـــى كـــل نائبـــة ... من لاذ بالمصطفى في الخطب لم يضـم[٦]
" محمد " صاحب الآلاء مسبغـــة ... على البرية من عرب ومن عجـــم
محمد هو روح العدل في الأمـــم ... محمدٌ هو أمن الخائف الزئـــم[٧]
الله أثنى عليه في الكتاب وقـــد ... حباه فضلاً على الأخيار كلهـــم
أصل الوجود الذى من نوره انبثقـــت ... أنوار مالاح في الخضراء[٨] من نجـم
فلا يماثله في حسنـــه بشـــرٌ ... ولا يدانيه في الإحسان مـــن أرم[٩]
ولا يشابهه فيض الخضـــم نـــدى ... ولا يباريه هطالٌ من الديـــم
همت على الملأ الأعلى مكارمـــه ... وعمت الكون نعمى جودة العمـــم

---

(١) الرجم : القبر . قاموس (٤ : ١١٤) .
(٢) تطيبها : تستميلها .
(٣) الطعم : أنواع الأكل من البر وغيره . قاموس (٤ : ١٤٢) .
(٤) أمراس : حبال .
(٥) خضم : الأزمة توضع على الأنف . قاموس (٤ : ١٠٦) .
(٦) لم يذل ويلحقه الهوان .
(٧) الزئم : شدة الذعر . قاموس (٤ : ١٢٢) .
(٨) الخضراء : السماء .
(٩) من أرم : أحد من الناس .

وكأن الغيث يروى كـــل مجدبـــة ... فى الأرض ما بين منهل ومنســـجم
به تفتق ما فى الـــروض مـــن زهـــر ... واهتز ما فى الروابى الخضر من رشم[١]
اختاره الله من فرع زكـــا وعـــلا ... تسقى مغارسه من مـــورد الكـــرم
وكـــل آبائـــه أقدارهـــم عظمـــت ... وكـــل أســـلافه موفـــون بـــالذمم
لهم مفاخر بين العـــرب ظـــاهرة ... آثارها الدهر فى سهل وفـــى علـــم
المطعمون ونار الحـــدب موقـــدة ... كل الجياع الألـــى حلـــوا بحيـــهم
وأحرزت شرفا " زهرية " حملـــت ... بـــه وزينـــها الرحمـــن بـــالعصم
حصناء طاهرة ما قـــارفت نكـــرا ... وحولها حائمات الرجس لـــم تحـــم
أم النبى الذى فـــى يـــوم مولـــده ... قد خر للوجه ما فى الأرض من صقـم
وقصر كسرى غدت تهوى به شرف ... كأنـــها لـــم تقـــم فيـــه علـــى دعـــم
وأهل ساوة قد جفـــت بحيرتـــهم ... فأصبحوا لذهاب الماء فى دحـــم[٢]
وأطفأ الله نيران المجوس وقـــد ... مرت قرون عليها وهى فى حـــدم[٣]
ورامت الجن أسرار السماء فلـــم ... تكشف لها ورماها الله بـــالرجم[٤]
وكل ذلك إرهاص لدعـــوة مـــن ... قد طهر الأرض من بغى ومن غشـم
ما زال ينمو وعيـــن الله تكلـــؤه ... وبـــالقراريط يرعـــى ثلـــة الغنـــم
واليتم ميسم ذل للصغـــار وقـــد ... أعزه الله رب العرش فـــى اليتـــم
وقومه قد دعـــو بـــالأمين ومـــا ... سعى إلى ريبة يومـــا علـــى قـــدم
وحينما جاء بالحسنى ليخرجـــهم ... من الضلال تولوا عنه فى بـــرم[٥]
من يهده الله ينعم فى الحياة ومن ... أضله راح يقضى العمر فى غمـــم

---

(١) الرشم : أول ما يظهر من النبت وأثر المطر فى الأرض . انظر القاموس (٤: ١١٩)
(٢) الدحم : الغم الشديد . قاموس (٤ : ١١١) .
(٣) الحدم : النار المشتعلة أو شدة النار . قاموس (٤ : ٩٣) .
(٤) الرجم : الشهب والنجوم التى يرمى بها . قاموس (٤ : ١١٥) .
(٥) برم : السأم والضجر . انظر القاموس (٤ : ٧٧)

وكان فجراً مضيئاً لاح فى الظلـــم ... وكان ركـــن بنـــاء غـــير منـــهدم
نظيف ثوب وجسم ريحه عطـــر ... كجونة[١] المسك والأزهار فى النســـم
وقلبه نهر قـــد فـــاض مرحمـــة ... على معنـــى ومســـكين ومـــهتضم
شعاره البر يدنـــى البائســـين ولا ... يقسو على سائل منـــهم ولا خـــدم
ويعصب البطن من تأثير مسـ غبة ... والقوم فى شبع يشكون من تخم[٢]
يقول حسبى لقيمات أقيـــم بـــها ... صلبى فإن الردى فى كثرة اللقـم[٣]
ولم يعش فى ثراء خازنـــاً ذهبـــا ... بل كان ينفقه فى الصحب والرحـــم
لا تسأل الناس فى البلوى معونتـــهم ... فالنـــاس أغلـــظ أكبـــاد مـــن النعـــم
تبين عند اشتداد الحـــرب همتـــه ... ويملأ الرعب منه كل قلب كمـــى[٤]
يلقى به كـــل عـــام مـــا يؤملـــه ... ولا يجيب الذى يرجوه فـــى الأنـــم
بعثت والناس فى بهماء مظلمـــة ... بالبغى قد حجبت عنهم ضوى اللقم
حادت جموعهم حتـــى لتحســـبها ... من المهانة قطعانا مـــن البـــهم[٥]
فقيصـــر الـــروم ظـــلام لأمتـــه ... مخضوبتـــان يـــداه دائمـــا بـــدم
والفرس قد أشبهوا من جهلهم غنمـاً ... يســـوقها بالعصـــا راع أصـــم عمـــى
والجور قد صار مرفوع اللواء ومـن ... دعا لعدل فمنـــه القـــوم فـــى صمـــم
فى كل صقع عر الأخلاق قد فصمـت ... لما اســـتباحوه مـــن قدســـية الحـــرم
فكنـــت منقذهـــم والشـــر يشـــملهم ... وكنت بلسم جـــرح غـــير ملتئـــم
وفى يديك كتـــاب جـــل منزلـــه ... يزيل كـــل فســـاد حـــل بـــالقمم[٦]

---

(١) الجونة : وعاء المسك .
(٢) تخم : داء يصيب البطن من كثرة الأكل . قاموس (٤ : ٨٨)
(٣) اللقم : علامات الطريق .
(٤) كمى : هو الشجاع .
(٥) البهم : أولاد الضأن والمعز والبقر . انظر القاموس (٤ : ٨١) .
(٦) القمم : الرءوس . انظر القاموس (٤ : ١٦٥)

خير الدساتير لا التعديل يحلقـــه ... يوماً لنقص ولا التبديل فى الكلـــم
تكفل الخالق الجبار عـــز وعـــلا ... بحفظ أحرفـــه مـــن غـــارة القلـــم
أســـراره تتجلـــى فـــى تدبـــره ... ما زال يكشف عنها العلـــم للفـــهم
آياتـــه بينـــات كلـــها جمعـــت ... حقائق العلـــم والأحكـــام والحكـــم
بليغة لا تبـــارى فـــى بلاغتـــها ... كأنها العقد من در ومـــن تـــوم[١]
لا يستطيع فصيح أن يعارضـــها ... ولـــو أراد رمـــاه الله باللســـم
ومن تلاها على طهر فـــإن لـــه ... عند الإله ثوابا غـــير ــ منخـــرم
خزائن الله لا تفنى وقـــد نشـــرت ... أعلام رحمته فى القاع والأكـــم[٢]
كم معجزات لطه ليس يحصرهـــا ... فكرى ويعجز عن إحصائها قلمـــى
وجاءت براهين تصديق لدعوتـــه ... يدرى دلالتها من كـــان ذا هـــرم[٣]
شق الإلـــه البـــدر المنـــير فقـــد ... رآه بالعين فـــى الليـــل لـــم ينـــم
والماء قد سال نبعاً من أصابعـــه ... يروى الغليل ب فى الحر كل ظمـــى
والصاع غذى به ألفا فأشـــبعهم ... والحصب سبح فى كفيه فى رتـــم[٤]
والشاة درت له عجفاء ضاويـــة ... والجذع حن له من شـــوقه العـــرم
والثلب قد جاء يشـــكو فأنصفـــه ... والفهر فـــى مكـــة حيـــاه بالســـلم
وصير الجذل سيفاً قاطعاً وضفـــا ... ظل الغمامة يحميـــه مـــن التـــهم
وإن تحدث فالأســـماع صاغيـــة ... حديثـــه لـــذ للاســـتماع كـــالنغم
عن الدنايا وراضيها بـــه أنـــف ... قد صاغه الله مجبولاً على الشـــيم
يا ساريا فى الدجى والليل معتكـــو ... سنا محياك يمحـــو قـــائم الغســـم

---

(١) توم : اللؤلؤ . قاموس (٤ : ٨٣) .
(٢) الأكم : المنخفضات والمرتفعات .
(٣) ذا هرم : كبير مسن . قاموس (٤ : ١٨٦) .
(٤) رتم : خيط يعقد فى الإصبع للتذكير . قاموس (٤ : ١١٥) .

هـذا الـبراق وأفـاك مركبـه ... من صنعه البارى الخلاق ذى العظم
يكوى المسافات لا الصاروخ يدركـه ... ولا الريـاح تجـرى بـلا لجـم
زمامه فى يدى جـبريل طاربـه ... ومن بيت مكة حتى بيـت أرشـلم
الأنبياء قد اصطفوا وراءك فـى ... صلاتـهم طاعـة الله ربـهم
وقدموك إماماً عن رضى وهـدى ... وأنت آخرهـم بعثـاً إلـى الأمـم
ثم استويت على المعراج مرتفعـاً ... إلى السماوات والأملاك فى الخـدم
حتى وصلت إلى ما لم يصل بشـو ... أو يرجه أحد من مرتقـى سـنم[1]
ما زاغ منك لما شـاهدته بصـر ... ولم يكن قلبـك الواعـى بمتـهم
لسدرة المنتهى كان اللقـاء بـلا ... كيف وأعطاك ما أرضاك ذو الكـرم
أوى إلى الغار والظلماء ضاربـة ... أطنابها والنجوم الزهر لم تـرم[2]
يخشى عليه أبـو بكـر مباغتـة ... ودمعه مثل ينبوع مـن السـحم[3]
يقول لو أرسلوا فى الغار أعينـهم ... لأبصرونا وصرنا طعمة القضـم[4]
يجيبـه واثقـاً بـالله مبتسـماً ... الله ثالثنـا فـأثبت ولا تجـم[5]
فإن أنصار أهل البغى قد عميـت ... فما رأونا وهـم منـا علـى أمـم
وسجف العنكبوت الغار وارتجزت ... أمـام مدخلـه ورقـاء بـالرنم[6]
عنايـة الله بالـهادى وصاحبـه ... أنجتها من عدو ظـاهر الإضـم[7]

---

(١) سنم : عال مرتفع . انظر مختار الصحاح ص ٤٥٢ للإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر . طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .
(٢) لم ترم : لم تبرح أماكنها بالأفول .
(٣) الماء .
(٤) القضم : السيف .
(٥) لا تجم : لا تحزن . قاموس (٤ : ١٨٢) .
(٦) الرنم : غناء الحمامة . قاموس (٤ : ١٢١)
(٧) الإضم : العداوة

ومن يرد ذلة المولى العزيز فــلا ... تعصمه سكماه فى عال من الأطــم
ومة يرد عــزه فالســعد يتبعــه ... وإن اقام طوال الدهر فــى الخيــم
سارا إلى طيبة الغراء فابتــهجت ... حسانها وشدت كالطير فــى نغــم
الله أكبر أعــلام الــهدى رفعــت ... وأصبح القوم بعد الحرب فى ســلم
أوس وخرج لا أضغــان بينــهما ... ولا وغى تأكل الشجعان فى قــوم[١]
إن الفريقين بالإسلام قــد أمنــا ... وبالمؤاخــاة حــلا ســاحة النعــم
نفوسهم بمعانى الطــهر مفعمــة ... قامت بــهم ملــة نوريــة العلــم
ينقض واحدهم فى الروع صاعقة ... على العدا واثقاً بالنصر لم يخــم[٢]
من كل حامل ســيف لا يفارقــه ... فى الحرب تال كتاب الله فى الســلم
يروغ فى حلق المازى[٣] جحفلهم ... قلوب أعدائه فــى كــل مصطــدم
شادوا على أسس الأخلاق دولتهم ... وبالعدالة ساســوا أمــر شــعبهم
بــهم رمــى الله كــل المعتديــن ... أقوامهم وعهود الظلــم لــم تــدم
إذا ضربت بسيف العــزم مجتــهداً ... أحرزت نصر وأنف الخصم فى رتــم[٤]
يكبرون إذا ريح الوغى عصفــت ... ويزأرون زئير الأسد فى الأجــم[٥]
عزت بهم أمة الإسلام وانتصــوت ... راياتها وتوارى الشرك فــى تلــم
صفت سرائرهم طابت عنــاصرهم ... والله ناصرهم فى الموقــف الأزم[٦]
وقبلــهم كــانت الأوهــام ... وحاكم القوم ذئب عاث فــى غنــم

---

(١) قرم : شدة الشهوة إلى الطعام .

(٢) لم يخم : لم يجبن ولم يخف .

(٣) المازى : الحديد والأسلحة مصنوعة منه .

(٤) رتم : إصابة الأنف بكسور . قاموس (٤ : ١١٥)

(٥) الأجم : الغابة ومسكن الأسود .

(٦) الموقف الأزم : الضيق والحرج .

يا صاحب الجاه عند الله معـــذرة ... إنى لأصـــرخ كـــالمذبوح مـــن ألـــم
ففى فلسطين أحفاد القرود أتـــوا ... بكل مســـتهجن فـــى ســـائر النظـــم
لا بـــارك الله اقوامـــا مدنســـــة ... تمشى لتفتك بالأعراض فـــى حـــرم
هموا قريظة فى كل العصور وقـد ... حكمت فيـــهم ولا معـــدى لمحتكـــم
ولا يقوم غير السيف مـــن أود[1] ... فيهم ويحســـم داء غـــير منحســـم
فمجلس الأمن لا تغنـــى إدانتـــه ... ولا تعيـــد حقوقـــاً هيئـــة الأمـــم
وعدة النصر تدريـــب وأســـلحة ... وتضحيـــات وإيمـــان وبـــذل دم
أنظر إلى أمة الإسلام فهى غـــدت ... من بعد عزتـــها فـــى ذلـــة الخـــدم
تفرقت شـــيعا فـــى كـــل ناحيـــة ... وشملها مـــن خـــلاف غـــير ملتئـــم
وكلما قام فيها مصلـــح ســـخطت ... عليه راضية بالعيش فـــى الولـــم[2]
هيهات ترجـــع للإســـلام دولتـــه ... ما دام حكـــم كتـــاب الله لـــم يقـــم
المسلمون حيارى بعدما هجـــروا ... هذا الكتاب الذى يهدى إلى اللقـــم[3]
يا ذا المحامد عند الله مـــن قـــدم ... وماحيـــا بســـناه داجـــى الظلـــم
إنى سميك فامنحنى رضـــاك ولا ... تردنى ظامئـــا عـــن مـــورد شـــبم
مدبج بالبردة العصماء نال منـــى ... بمدحكـــم وشـــفاه الله مـــن ســـقم
وجئتكـــم مادحـــاً أفقـــو طريقتـــه ... والضر قد كاد يفضى بى إلى الشـــجم[4]
أشكو إلى الله ما ألقاه من محـــن ... أقلها مـــا أعانيـــه مـــن الســـدم[5]
يا أفضل الخلق هلا نظرة صرفـت ... عنا البلاء وضدت عصبـــة القحـــم

---

(١) أود : عوج .
(٢) الولم : القيد .
(٣) اللقم : وسط الطريق . انظر القاموس (٤ : ١٧٤) .
(٤) الشجم : الهلاك .
(٥) السدم : الحزن والغيظ والهم .

يا خاتم الرسل هلا عطفة بعثت ... لنا أمانينا الموتى من العدم
يا مصدر النور هلا زورة نعمت ... نفسى بها قبل دفنى فى ثرى رجمى[١]
إنى لأدعو إلهى ضارعا ... أن يستجيب دعائى بارئ النسم
رباه أيد جيوش المسلمين فمن ... أيدت فى الحرب لم يهزم ولم يضم
رباه قد ضاق ذرعى بالفساد ولا ... تقوى على درئه[٢] كفى ولا قدمى
رباه قد صار جسمى للضنى هدفا ... برى عظامى وما أبقى على أدمى[٣]
رباه أنت الذى تشفى السقيم إذا ... حار الطبيب وعز الصبر فى الدقم[٤]
رباه فامنح ذنوبى كلها وعلى ... دهرى أعنى وكن فى الخطب معتصمى
وصل أزكى صلاة فى الختام على ... محمد خير من كرمت فى الأمم
وآله العز والأصحاب قاطبة ... ما أرسل القطر يروى المحل[٥] من ديم[٦]

---

(١) رجمى : قبرى .
(٢) درئه : دفعه .
(٣) أدمى : جلدى .
(٤) الدقم : الضر .
(٥) المحل : الجدب .
(٦) الديم : السحب .

التعريف بأبى زيد إبراهيم سيد :

ولد شاعرنا أبو زيد إبراهيم سيد – رحمه الله – فى قرية بنى فيز بمركز صدفا محافظة أسيوط فى ١٩٣٤/٣/١٥م والتحق بكتاب القرية وحفظ القرآن الكريم كله، والتحق بالمعهد الإعدادي وحصل على الشهادة الإعدادية سنة ١٩٥٣م ، ودخل معهد أسيوط الثانوى وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية سنة ١٩٥٨م، ثم التحق بكلية دار العلوم قسم اللغة العربية وحصل على ليسانس دار العلوم فى سنة ١٩٦٣م. ثم حصل على دبلومة التربية وعلم النفس من كلية التربية عام ١٩٦٤م، وعين مدرسا للغة العربية بالقسم الإعدادي، ثم رقى إلى قسم الثانوى ومكث فيه أربع سنوات، ثم رقى مدرساً أول للغة العربية، وبعد أربع سنوات رقى موجها للغة العربية والتربية الإسلامية بالقسم الإعدادي، وبعد ذلك رقى موجها أول بالقسم الثانوى ثم صار بعد ذلك موجها أول للغة العربية وقد سافر مرافقاً لزوجته وهو موجه لغة عربية بمحافظة أسيوط بدولة دبى بالإمارات العربية المتحدة وقد عمل مدرساً بثانوية دبى بالإمارات ، وعمل واعظاً أول فى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدبى، ثم رجع إلى مصر وعاش بقية حياته فى أسيوط فى منزله الذي بناه فى شارع عزت جلال بمنطقة الحمراء في أسيوط حتى وافته منيته فى ١٩٩٧/٥/١٠م – طيب الله ثراه – وأسكنه فسيح جناته وجعله فى عليين.

فى رحاب الحب

ماذا أقول وما يفضى به قلمـــى ... فإن مدحك فوق الوصـــف والكلـم
لكنها لغة العشاق أرسلهـــــا ... إلى الحبيب الذي نجى مـــن الظلـم
وللمحب لغات بل وألسنـــــة ... قاموسها يتخطى عـــالم النســـم
قاموسها النور فيه الروح هائمـة ... بمن تحب وقلب فـــاض بالنغـــم
وكم قلوب بنور الحـب واثبـــة ... وكم نفوس بحر الشوق فى ضـــرم[1]
وكم محبين فى طير لحبهـــــم ... وكم محبين فى سعى علـــى قـــدم
وكم محبين فى محبوبهم صهروا ... أرواحهم أصبحت روحا بـــلا قسـم
والحب أعلى مقامات وأكملهـــا ... حب الإله لأجـل الله ذى النعـــم
وحب طه إمام الحب قاطبـــــة ... في الله حقا وينبوع لكـــل ظمـــى
ويعرف الحب للمختار ذائقـــه ... وذائق الحب غير القـــول بالكلـــم
والحب إنكار ذات فى حقيقتـــه ... وبذل روح وتطهير من اللمـــم[2]

الحياة قبل ولادة النبي صلى الله عليه وسلم

يا مصطفى يا إمام الرسل كلهـــم ... ومن له العهد والميثاق في القـــدم
أنت اليتيم الذى قد مات والـــده ... ولم يزل ساطعا فى عالم الرحـــم
وافيت للكون والدنيا معذبـــــة ... فالشرك بالله والتقديـــس للصنـــم
الليل قد نام واسترخت ذوائبـــه ... على الحياة وضاع الحق فى الظلـم
والفجر قد عصبت عيناه وانفجـرت ... جهالة الكفـــر طوفانـــا مـــن الحمـم

---

(١) فى ضرم : فى اشتعال .

(٢) اللمم : صغائر الذنوب .

ضاع الضعيف فلا حق يسانـــده والموبقات عليها الناس فـــى نـــهم
وأنهر من دماء الناس دافقـــة لدى الحروب وطير ضاق بـــالرمم
شريعة الغاب فى الأكوان ســائدة وربما الصقر فى عطف على الرخم
والآدمية قد ضلت مسيرتهـــا فى ليلها الغامر الأشجان والضـــرم
والعقل لا عقل يهدى للصـــواب ولا نور من الله يمحـــو داكـــن الســـدم
والأدميـــة بـــالأرزاء طافحـــة سيان من عرب فى الـــرزء أو عجـــم
حتى شكا الكون يا رباه مرحمـــة فالخلق خلقك فالطف واسع الكـــرم
فجاءت الرحمة الكبرى مبشـــرة بخاتم الرسل خير الخلق كلـــهم

اليتيم الذى أشرقت به الحياة

يا خاتم الرسل يا صبح الحياة ويـــا بعثا لكون هوى فى نومة العـــدم
أنت اليتيم الذي قد كان مفخـــرة للكون فى عظم الأخلاق والشيـــم
أنت اليتيم الذي من يتمـــه انبعثت بشرى الحياة لكون ضاع فى اليتـــم
أنت اليتيم الذى أحيت رسالتـــه ميت القلوب وصاغت سامى القيـــم
من عادة اليتم أن يغلى الشقاء بـــه لكن يتمك نـــور شامـــخ القمـــم

رضاعة النبي صلى الله عليه وسلم

لما أتيت إلى الدنيـــا وقـــد نفـــرت كل المراضع من فقر ومن عـــدم
إلا حليمة إذ شـــاء الإلـــه لهـــا أن تستظل بسعد غير منفصـــم
لما بدت ترضع المختـــار جلـــلهـــا يمن من الله من رزق ومن نعـــم
حتى مطيتها العجفـــاء قـــد ســـبقت كل المطايا وكانت قبل فى كمـــم
وأعين الركب ترنو وهـــى شـــاخصة هذى حليمة مثل البرق فى الرســـم
لو أنهم نظـــروا للنـــور تحملـــه لأبصروا خير خلق الله من نســـم

حادثة شق الصدر

نما النبي وعيـن الله تكلـــؤه ومن يكن فى رحاب الله لم يضـــم
الله آواه فى يتـــم وأدبـــه وحفه الله بالنعماء والكـــرم
وشق صدرا له كيما يكرمـــه ويملأ القلب بالإيمان والحكـــم
ولا تسل كيف شق الصدر فى عجـب بل سلم الأمر للبارى مـن العـــدم
فأمره إن يشـأ شـيئاً ليوجـــده كن تلقه كائناً فى أحسن القـــوم

الراهب بحيرا وتفرسه فى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع عمه أبى طالب

فى صفوة الخلق قد لاحت نبوتـــه من قبل بعثته للناظر الفهـــم
وللقلوب عيون دون رويتهـــا تعيا العيون وكم باحت بمنكتـــم
بصائر من سنا الرحمن رؤيتهـــا فلا تحد بمحدود ومعتلـــم
بصائر قد جلا الرحمن رؤيتهـــا فلا حجاب ولا ران من الغمـــم
أولئك القوم يدريهم ويعرفهـــم أهل البصيرة أهل النور والعظـــم
وكل راء بقدر النور رؤيتـــه وقدر إمداده من واهب النعـــم
هذا بحيرا رأى ركبا تظللـــه غمامة تمنع السارين من ضـــرم
وأبصر النور فى الأرجاء منبعثـــا فأدرك السر من فيض السنا العمـم
وجاء بالركب جمعا فى ضيافتـــه وراح يبحث فى الأشكال والسـيم
وقال للركب هل خلفتـــم أحـــدا قالوا غلام لحفظ الرحل والنعـــم
فقال هذا الذى أبغيـــه فـى كـــرم وأنتم بعـــده كـالجند بالعلـــم
فتحضروه حثيثا كى أشاهـــده إنى لرؤيته فى شـــدة النهـــم
لمـا رآه بحيـــرا راح يلثمـــه وللبصيرة منـــه نظـــرة الفهـــم

وقال للعـــم هـــذا الوجـــه أعرفـــه هذا المشـــفع والمبعـــوث للأمـــم
هذا بشارة عيســـى والكليـــم لنـــا هذا دعـــاء خليـــل الله مـــن قـــدم
فخف عليه يهودا طـــاش عقلـــهم وقلبهم أسود الأحقـــاد كالغســـم[١]

زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة

وشب أحمـــد والرحمـــن حافظـــه وكان للقـــوم آيـــات مـــن العظـــم
وبـــالأمين دعـــاه النـــاس قاطبـــة وصادق الوعد والمحمود فى الذمـم
رأت خديجة فيـــه خـــير مؤتمـــن وخير زوج له كل الفخـــار نمـــى
ما أبصرته فقير المال بل بصـــرت بساطع النور والإيمـــان والعصـــم
لما أتاهـــا بقلـــب واجـــف فـــزع يردد اقرأ ويحكى الوحى فى همـــم
فأقســـمت بإلـــه العـــرش قائلـــة الله يرعاك لا يخزيك لـــم تضـــم[٢]
فـــأنت للكـــل للمحـــروم عونـــهما وأنت من يصل الأرحام فـــى كـــرم
ولابن عـــم لـــها راحـــت محدثـــة فقال ربى هو القـــدوس ذو حكـــم
هذا كـــلام مـــن الرحمـــن منبعـــه على نبـــى إمـــام الرســـل كلـــهم
وسوف قومك تلقى منـــهم حممـــا ويخرجونك فى يـــأس وفـــى نقـــم
فكانت : اقرأ رباطـــاً بيـــن بعثتـــه وبيـــن هجرتـــه للعـــارف الفـــهم

صلابة الإيمان فى سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم

يا صفوة الكون فى ذكراك تذكـــرة لعالم بلظـــى الأهـــواء محتـــدم[٣]
كم حاول الكفر أن يثنيك فى عنـــت وراح يوغـــل فـــى التعذيـــب والأم

---

[١] الغسم : شدة السواد والظلمة . قاموس (٤ : ١٥٤) .

[٢] لم تضم : لم تذل ولم تهن .

[٣] محتدم : متقد ومشتد .

قالوا لك الملك والأمـــوال نجعلـــها ... وأنت سيدنا المرعى فـــى الحـــرم
ولا تســـفه لنـــا دينـــا وآلهـــــة ... وإن أبيت ستلقى كـــل ذى ضـــرم
فقال لو جئتم بالشـــمس ســـاطعة ... تزهو بيمناى أو بدر السماء التمـــم
ما حدث عن دين ربى أو شـــريعته ... وإن يكن فى سبيل الله سفك دمـى[1]

فى ظلال الإسراء

مع مديح صفوة الأنبياء

ناداك ربك للإســـراء فـــى شـــرف ... وحامل الوحى جبريل علـــى قـــدم
نوديت بالعبد للرحمن فـــى عظـــم ... وفى مقام كمـــال قبـــل لـــم يـــرم
صليت بالقدس حيث الأنبياء لـــهم ... أنت الإمام وخير الخلق من نســـم
هم سلموك قياد الأمـــر إذ كملـــت ... بك الرسالات فـــى بـــدء ومختـــم
هو توجوك بقـــدس الله وائتلفـــت ... بك السماوات خير الخلـــق كلـــهم
وقاب قوسين إذ نوديت " أحمدنـــا " ... هنا مقامك فادخل فى السنا العمـــم
وقد أتى اسمك باسم الله مقترنـــا ... عند الشهادة تتويجا لـــذى عظـــم
وفى قوائـــم عـــرش الله أبصرهـــا ... أبـــوك آدم نـــوراً ســـاطع القـــدم
فراح يدعو إله العـــرش متلمســـا ... بجاهك العفو فانجابت دجى الغمـــم
وأنت أنت الذى ترجـــى شـــفاعته ... فى يوم حشر بهول الكرب محتـــدم
الأنبيـــاء بـــه كـــل يرددهـــا ... رباه نفسى وجل الخلق فـــى ســـأم
وأنت أنـــت تنـــادى يـــا محمدنـــا ... اشفع تشفع أيا مختار فـــى الأمـــم

---

[1] سفك دمى : قتلى .

هجرته

صلى الله عليه وسلم

يا صاحب الهجرة المتلو سيرتها ... فى " ثانى اثنين " تخليداً لدى النسم
تلك المعية قدر ليس يدركه سواك ... يا منبع الأنوار والقيم
لا غرو أن قلت إذ عيناك أغمضتا ... إن نامت العين إن القلب لم ينم
أسهرت ليلك تسبيحا وتذكرة ... وفى تلاوة آى الله فى نهم
وأنت أنت كتاب الله فى خلق ... وأنت مستودع الأسرار والحكم
خرجت للهجرة الغراء منطلقا ... وكل سيف إلى قتل الضياء ظمى
ورحت تتلو كتاب الله فانطفأت ... كل العيون فلم تبصر من القتم[1]
والله أعمالهم بالغار فاندحروا ... يرددون عميق الخزى والندم

من معجزات النبى

صلى الله عليه وسلم

يا صاحب المعجزات الخالدات ومن ... بالحق حطم ليل الكفر والصنم
الضب أنطقه الرحمن معجزة ... وبالشهادة فاه الضب بالكلم
والماء سال هديرا من أصابعه ... يروى الظماء من الأقوام والنعم
والجذع قد أن تحنانا وأسكته ... خير الوجود وكان الجذع فى برم[2]
وفوق راحة طه للحصى نغم ... إذ سبح الله فى صوت بغير فم

---

[1] القتم : شدة السواد والظلمة .

[2] برم : ثقيل . انظر القاموس (٤ : ٧٢) .

المعجزة الخالدة

وخير معجزة فـــى الدهـــر خـــالدة ... قرآن ربـــى كتـــاب خـــالد العظـــم
هو الكتاب الذى أعيـــت فصاحتـــه ... أهل الفصاحة والعرفـــان والحكـــم
عن آية أعلنوا عجزاً وقد نكصـــوا ... حين التحدى على الأعقاب والقـــدم
هذا الكتاب الذى أنـــواره ســـطعت ... كالشمس قد سطعت فى حالك الظلـم
هذا الكتاب الذى أحيا الحياة وقـــد ... كان انطلاقا لها من نومـــه العـــدم
فى ظله دولة الإسلام قد رســـخت ... وسادت الكون من عرب ومن عجم
فى ظله لـــم يكـــن ظـــل لتفرقـــة ... وليس جنس على جنس بذى شـــيم
دستور من أبدع الدنيا وصورهـــا ... دستور من أوجد الإنسان من عـــدم
النـــور فيـــه وفيـــه للحيـــاة هـــدى ... ومن يحد عن هدى الرحمن فى ضـــوم
إنى لأعجب للقـــوم الألـــى ذهبـــوا ... لغير دســـتور رب بـــار ئ النســـم
صاغوا الدساتير من أهواء فكرهـــم ... فأحرقتهم وعاشوا فى لظى النقـــم
طاروا إلى القمر اللألاء واســـتبقوا ... وثبتوا فـــى ثـــراه شـــامخ العلـــم
هل أبصروا قدرة الرحمن ســـاطعة ... وللأذان هدير شـــع فـــى القمـــم[1]
كم عالجوا الجسم من داء ألم بـــه ... أما عن الروح قد أغفوا على صمـم

النفس قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها

يا نفس يـــا فتنـــة للمـــرء قاتلـــة ... من أنت ما سرك المخبوء من قـــدم
أمارة الســـوء للإنســـان مهلكـــة ... إلا الذى خصه الرحمـــن بـــالعصم
تبدين زينة حسن فـــى محاســـنها ... الغدر يكمن مثل السم فـــى الدســـم
أغويت قابيل حتـــى راح منتشـــيا ... بقتل هابيل لم يعبـــأ بـــذى رحـــم

---

(١) الأماكن المرتفعة . جمع قمة وهى أعلى الرأس . انظر القاموس المحيط (٤ : ١٦٥)

ومن أحبـــك كـــان الحـــب مصرعـــه ... مثل الفراشات قد رفت على الحـــدم[١]
ومن عصاك ففى العصيان مأمنـــه ... ومن يطعك فذا يدعى من البـــهم[٢]
فأنت يا نفس مهما كنـــت جامحـــة ... يكبح جماحك ذو الإيمـــان بـــاللجم
لن تقهرى مؤمنا بـــالله معتصمـــا ... فإنـــه بربـــاط غـــير منفصـــم
كم مؤمن صـــادق زكـــاك تزكيـــة ... فكنت نوراً وينبوعـــاً مـــن الحكـــم
إن رمت للنفس إصلاحـــاً وتزكيـــة ... فاصدق مع الله فى دنياك واســـتقم
فالنفس أعدى الأعادى فى حقيقتـها ... ومن يقتل هواها عاش فـــى ســـلم
إن تذكـــر الله فالشـــيطان مندحـــر ... والنفس بالذكر للرحمن فـــى نعـــم

صاحب الدعوى نبينا صلى الله عليه وسلم
وتحريره للعقول
وبناء الإنسان المسلم وأخلاق الصحابة

يا صاحب الدعوة المنصور حاملـــها ... من يأت هديك فى الأكوان يغتنـــم
تمضى السنون وصوت الحق منطلـــق ... مل الوجود وصوت الكفر فى كتـم[٣]
مهما طغى الليل نور الصبح يصعقـه ... ولن يعيش ظلام فى السنا التمـــم
والعقـــل إن أدرك الآيـــات ســـاطعة ... تألقت فيه أنوار الـــهدى العمـــم
يا خير من عرف الإنســـان قيمتـــه ... وحطم القيد قيد الكفـــر والصنـــم
وحـــرر العقـــل فانجـــابت غياهبـــه ... وفاض بالعلم والإيمـــان والحكـــم
ربيـــت فـــى الله أبطـــالا عزائمـــهم ... تجتاح جيش العدا فى كل مصطدم

---

[١] النار الحامية.

[٢] البهم : أولاد الضأن والمعز والبقر . القاموس المحيط (٤ : ١١)

[٣] فى كتم : فى صمت .

فى الليل رهبان صدق فى عبادتهم ... وفى النهار هم الفرسان ذو الهمم
أخلاقهم فى سنا الإيمان قد سطعت ... وإنهم كالنجوم الزهر فى العظم
محمد خير خلق الله أسوتهم ... ومن به يحتمى إذ ما الوطيس حمى[١]
وبدر ملحمة النصر خالدة ... لما تزل فى الورى نورا لدى الأمم
لما تزل تخبر الأكوان قائلة ... جيش العقيدة جيش غير منهزم
مهما زها الكفر فى حشد وأسلحة ... كالثلج فى لهب الإسلام لم يدم
كم قلة بإله العرش مؤمنة ... أردت الوفا ودكت عاتى الأطم[٢]
والريح والرمل بل والترب أسلحة ... إن شاء ربك فوق النار والحمم[٣]

الجهاد لإعلاء كلمة الله والسمو بالإنسان وإرساء دعائم العدل

ما جرد المسلمون السيف يوم وغى ... إلا بحق مبين غير منكتم
جهادهم فى سبيل الله ما عرفوا ... يوما قتالا لدنيا أو لمغتنم
ما غردوا فوق سيل للدماء ولا ... خانوا العهود ولا جاروا على الحرم
أخلاقهم كانت الفتح المبين لهم ... والسيف كان جزاء الجاحد الغلم[٤]
وما رأى الناس فى الإسلام مظلمة ... بل عانقوا كل ألاق من القيم
فى ظله الأمن والعدل الذى سعدت ... به البرية من قاص ومن أمم
وكل من جاء للإسلام ظلله ... ظل الأمان بعهد غير منفصم
والحاقدون على الإسلام كم شهدوا ... بأنه خير من يرعى عرى الذمم

---

(١) حمى : اشتد .
(٢) الأطم : الحصون والقصور المبنية بالحجارة . القاموس المحيط (٤ : ٧٤)
(٣) الحمم : الحرارة المرتفعة . القاموس (٤ : ٩٩)
(٤) الغلم : الهائج . قاموس (٤ : ١٥٤)

من أمجاد الإسلام ومآثره

إنى لأذكـــر أمجـــاداً لنـــا خلـــدت ... وأذكر الآن ما فينا مـــن الوصـــم
أين البلاد التى كنا الشموس بـــها ... فى الشرق والغرب كنا قادة الأمـــم
الفرس والروم كنا صبح نهضتـــهم ... ونحن من فجر الأنوار فى الظلـــم
أسبانيا لن تـــزل فيـــها حضارتنـــا ... وطارق لم يزل فى الغرب كـــالعلم[١]
والغرب لـــم تـــزل فيـــه منائرنـــا ... ولـــلأذان صـــداه خـــالد النغـــم
فنحـــن للعلـــم ينبـــوع مناهلـــه ... كم روت الغرب بالعرفان من قـــدم

دعوة إلى الاعتصام بحبل الله

ومديح فى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا مسلمون بحبل الله فـــاعتصموا ... فإنكم بهدى الرحمن فـــى عصـــم
وجاهدوا ترجعوا الأمجـــاد ثانيـــة ... فلن يعود عظيـــم المجـــد بـــالحلم
يا صفوة الكون هذا المدح أرفعـــه ... لله شكراً وتســـبيحاً علـــى النعـــم
محمـــد نعمـــة للكـــون قاطبـــة ... محمـــد رحمـــة الرحمـــن للنســـم
إن قيل عيســـى دعـــا ميتـــاً وكلمـــه ... أو قيل موسى أصاب السحر بـــالبكم[٢]
فـــأنت حـــى بقـــرآن يكلمنـــا ... وأنت حى بشـــرع خـــالد العظـــم
وفى التحيات روح كـــم نخاطبـــها ... وإن نســـلم تســـلم بأســـنا الأمـــم
يا رب صلى على الهادى وعترتـــه ... خير البرية خـــير الخلـــق كلـــهم
يا رب وانصر على الأعداء أمتنـــا ... وحرر القدس مـــن عـــاد ومنتقـــم
يا رب واجعل بلاد المسلمين بـــها ... كل الرخاء وكـــل الخـــير والســـلم

---

(١) كالعلم : كالجبل .

(٢) البكم : عدم النطق .

موازنة بين القصيدتين

أولا : الوحدة الموضوعية والعضوية فى كلتا القصيدتين:

أ- الوحدة الموضوعية في القصيدتين واضحة جلية حيث إن كلتا القصيدتين فى مدح خير البرية محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم -.

ب- الوحدة العضوية أو الفنية في القصيدتين ظاهرة ومتمثلة في التراابط الشديد بين أجزاء هذا العمل الفنى وكذلك فى توافق الأفكار والمعاني مع الأسلوب والصور والخيالات والموسيقى .

ثانياً : كلتا القصيدتين ميمية ومن بحر البسيط :

ثالثا : العاطفة والتجربة الشعرية في القصيدتين :

عاطفة كلا الشاعرين فى قصيدتيهما عاطفة حب وإعجاب واعتزاز وسمو نحو رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - حيث مدح كلاهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبدأ مخلوف مطولته ممهدا لفكرته بأبيات غزلية - على عادة الشعراء منذ العصرؤ الجاهلى - وبعد هذا المدخل بدأ يدلف إلى داخل تجربته الفنية ممهداً لحديثه عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالحديث عن الصبا ولذاته ثم يعلن توبته من شرك قبله فى هوى فمر سنا محياه يزيل الظلام الحالك فيقول:

كل المباهج فى ظل الصبا فـــــإذا ولى فلن تجد اللذات فـــى الـــهرم

أتوب من شرك قلبي فى هوى قمر سنا محياه يمحو حندس الظلـــم

ثم يبدأ مدحه – عليه الصلاة وأزكى السلام – بأن يلوذ بـــالنبي – صلى الله عليه وسلم – فى كل نائبة إذ هو صاحب الآلاء مســـبغة ، كما هو روح العدل وأن الله – عز وجل – قد أثنى عليه فى كتابة وقـد عبر عن ذلك بقوله :

ألوذ بالمصطفى فى كل نائبـــــة من لاذ بالمصطفى في الخطب لم يضـم

" محمد " صاحب الآلاء مســبغة على البرية من عرب ومـــن عجـــم

محمدُ روح العدل فـــى الأمـــم محمدُ هـــو أمـــن الخائـــف الزئـــم

ثم أخذ يتحدث عن العجائب والإرهاصات عند ميلاده – صلـــى الله عليه وسلم – كتصدع إيوان كسرى وجفاف بحيرة ساوة وخمـــود نار المجوس، كما وصف الكتاب العزيز، وتحدث عن معجزاته – عليه الصلاة وأزكى السلام – ومن بينها معجزة الإســـراء والمعـــراج، ثـــم تحدث عن الهجرة النبوية الشريفة والتسمى باسمه – صلى الله عليـــه وسلم – طالبا للنجاة بفضل هذه التســـمية وتمـــهيداً للدعـــاء وطلـــب المغفرة.

بينما نجد أبا زيد إبراهيم سيد بدأ مطولته فى مدح المصطفـــى – صلى الله عليه وسلم – بأبيات عن حبه – عليـــه الســـلاة وأزكـــى

السلام – وهذا مدخل طبعى لمثل هذا العمل الذى كان هو الدافع الأول إلى حب النبي – صلى الله عليه وسلم – وإلى ابداع شاعرنا ثم بعد ذلك بدأ يدلف شاعرنا إلى داخل تجربته الشعرية متتبعا حياة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – مرحلة بعد مرحلة بادئا بمرحلة ما قبل ميلاده، وهذا شئ طبعي، فمن يتناول حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأثره فى تغيير مسار البشرية، لابد له من أن يمهد لذلك بما كانت عليه حياة البشرية – قبل مولده – صلى الله عليه وسلم – وأخذ شاعرنا يعرض ذلك فى صورة فنية رائعة مبينا أن الحياة قبل مجيئه – صلى الله عليه وسلم – كانت حياة جحيم وظلام ضاع فيها حق الغير، وكثرت الموبقات والحروب، وارتفع عدد الضحايا حتى جاءت رحمة الله مبشرة بخاتم أنبيائه ورسله، كما تحدث هن هذا اليتيم الذى أشرقت به الحياة، ثم ذكر قصة رضاعه – عليه الصلاة وأزكى السلام – وحادثة شق صدره وتفرس الراهب بحيرا فى النبي – عليه الصلاة وأزكى السلام – وهو غلام مع عمه أبى طالب، ثم أخذ يعرج على زواجه من السيدة خديجة بنت خويلد – رضى الله عنها – ثم ذكر صلابة الايمان فى سيدنا ولد عدنان، كما تحدث عن قصة الإسراء والمعراج وبقية معجزاته – صلى الله عليه وسلم – بما فيهم معجزة القرآن الخالدة، ثم تحدث عن النفس وأنها أمارة بالسوء أفلح من

زكاها للعقول، وبناء الإنسان المسلم، ثم عن أخلاق الصحابة والجهاد لإعلاء كلمة الله والسمو بالإنسان وإرساء دعائم العدل.

ثم ختم مطولته بأمجاد الإسلام ومآثره والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله المتين ومدح رسوله الكريم والتضرع إلى المولى تبارك وتعالى.

رابعاً : الألفاظ والأساليب :

أولاً : الألفاظ :

يجب علينا قبل أن نتحدث عن خصائص ألفاظ الشاعرين ومعانيهما أن نشير إلى أن بعض النقاد يرى أنه لابد من أن تكون هناك علاقة وطيدة بين اللفظ والمعنى فالحسن بن رشيق القيرواني يقول فى كتابه: " اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته ...الخ"[١].

بينما نرى ابن وكيع قد مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يجانسها كلها ويليق بها من اللبلس فقد بخست حقها وتضاءلت فى عين رائيها "[٢].

أما أبو هلال العسكرى يتحد مع الجاحظ فى تصويره للعمل الفنى وفى اهتمامه بجانب اللفظ والعناية بالشكل الخارجي للشعر الذى هو فى رأيه مجال الحكم وميدان الجودة والبلاغة فى الفن وقد صرح

---

[١] انظر العمدة لابن رشيق القيراواني (١ : ٨٢) طبعة القاهرة سنة ١٩١٥م.

[٢] المصدر السابق بتصرف.

فى أكثر من موضع بأن الكـــلام لا يحســن إلا بسلاســته وســهولته ونصاعته وتخير ألفاظه وإصابة معناه، وجودة مطالعه ولين مقاطعــه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرلفه وتشابه أعجازه بهواديه، وموافقـــة مآخيره لمباديه مع قلة ضروراته[١].

كذلك نجد ابن الأثير يقول : " كما كانت العرب تــهتم بالألفــاظ فتصلحها وتهذبها فكذلك كانت المعاني عندهم أقوى، وأكــرم عليــها. وأشرف قدراً فى نفوسها، وإذا كان العــرب قــد أصلحــوا ألفاظــهم وحسنوها، ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها فلا تظن أن العناية كانت بالألفاظ فحسب بل هى خدمة للمعاني. ونظير ذلــك إبــراز الصــورة الحسناء في الحلل الموشية والأثواب المحبرة، فإننــا قــد نجــد مــن المعاني الفاخرة ما يشوه من حسنه بذاذة لفظه وسوء العبارة عنه[٢].

ونرى أبو عثمان بن بحرين محبوب الملقب بالجــاحظ عندمــا علق على بيتين من الشعر لأبي عمرو الشيبانى وهما :

لاتحسبن المــوت مــوت البلــى وإنما الموت ســؤال الرجــال
كــلاهما مــوت ولكــن ذا أفظع من ذاك علــى كــل حال

فقال : " وذهب الشيخ إلى استحســان المعــانى ، والمعــاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمى والبدوى والقروى، وإنما

---

(١) الصناعتين لأبي العسكرى ص ٥٥ القاهرة سنة ١٩٩٢م.

(٢) المثل السائر لابن الأثير طبعة نهضة مصر ص ١٣٧ بتصرف

الشأن فى إقامة الوزن وتمييز اللفظ زسهولته وسهولة المخرج فى صحة الطبع وجوده السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير[١].

وكذلك نرى كولردج يعرف الشعر فيقول: " إنه أفضل الألفاظ فى أفضل الأوضاع "[٢].

ومن ينظر فى ألفاظ الشاعرين يجدها جزلة فخمة رصينة من غير أن يكتنفها غموض ولا التواء إذ تخير كلاهما ألفاظه وانتقاها وابتعد بها عن الوحشى والغريب، وإن كان كل منهما قد أتى ببعض ألفاظ من المعجم القديم لمناسبة عصر المصطفى – صلى الله عليه وسلم – إذ هو المخصوص بالمدح لذلك احتاجت بعض كلماتها للكشف في المعاجم اللغوية لمعرفة معناها ومن ذلك عند مخلوف قوله :

" شبم ، السحن ، الديم ، الأطم ، يخم ، رثم ، تلم ، اللقم ، الشجم ، الدقم ، الرجم ، خطم ...الخ ".

إلا أننا نجد عند مخلوف مصطلحات عصرية لم نجدها عند صاحب نهج البردة وهى " الصاروخ، ومجلس الأمن ، وهيئة الأمم " .

---

[١] الحيوان لأبي عثمان بن بحر الجاحظ (٣ : ٤٠) القاهرة سنة ١٩٠٧م.

[٢] كولردج ترجمة د/ محمد مصطفى بدوى طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م.

كما أننا نجد مخلوفاً قد أحسن اختيار مفرداته مثل قوله :

وكان كالغيث يروى كل مجدبة فى الأرض ما بين منهل ومنسجم

فقد شبه الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالغيث الذى يروى ظمأ كل شئ واختيار لفظ " الغيث " دون مرادفاته للدلالة على ما في الغيث من الإنقاذ فكذلك المصطفى – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قد أنقذ الناس من الضلال والهلاك.

كما أن ألفاظ شاعرينا ومعانيها تمتاز بالنصاعة ودقة االصياغة ومتانة النسج وروعة السبك، كما أن من يمعن النظر ويدقق الفكر فى ألفاظهما ومعانيهما لايجد تعقيداً ولا ضعف تأليف أو مخالفة قياس.

كما أن عباراتيهما تتميزان بالدقة والوضوح والإحكام وقوة الصياغة والالتحام بين ألفاظهما ومعانيهما.

ومن المعروف أن الصياغة القوية في الشعر تتمثل فى اختيار العبارات المعبرة والألفاظ الدالة بحيث يكون هناك تلاؤم وانسجام بين اللفظ والمعنى وهو ما يعرف بحسن التأليف.

ولأهمية العبارة الشعرية واللفظ يعد بعض النقاد الألفاظ وتراكيبها من أهم عناصر الصياغة الشعرية[١].

وكما تعد الألفاظ والأساليب رافدان من روافد الصورة الأدبية فى البناء الفنى للقصيدة الشعرية[٢].

---

(١) راجع الشعر فى ضوء النقد الحديث للأستاذ/ مصطفى السحرتي ص ٥٧ بتصرف طبعة سنة ١٩٤٨م.

(٢) راجع البناء الفنى للصورة الأدبية في الشعر: د/ على على صبح. المكتبة الأزهرية للتراث الطبعة الثانية ١٩٩٨م.

ثانيا : الأساليب :

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن أسلوب الشاعرين أن ننوه إلى تعريف الأسلوب عند الأدباء والنقاد وبعض أصحاب المعاجم.

فالأستاذ أحمد الشايب يعرف الأسلوب بأنه هو : " الفن الأدبي الذى يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير"[١].

بينما نجد أبا هلال العسكرى وابن الأثير فى كتابيهما يقولان:" إن صياغة الأسلوب الجميل هى : " فن يمتد على الطبع والتمرس بالكلام البليغ[٢]، وتتكون من الجمل والعبارات والصور البيانية".

أما أستاذنا الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى – أطال الله عمره ومد فى أجله – يعرفه بأنه هو " طريقة الكاتب فى اختيار ألفاظه وجمله وتعابيره وخصائصه الفنية فى أداء معانيه وأفكاره وتجاربه الذاتية "[٣].

---

[١]انظر الأسلوب للأستاذ أحمد الشايب ص ٤ طبعة ثامنة ١٤١١هـ – ١٩٩١م مكتبة النهضة المصرية.

[٢]راجع الصناعتين لأبي هلال العسكرى ص ١٤٧ طبعة صبيح ١٩٤٨م، والمثل السائر لابن الأثير ص ٣٠٠ طبعة نهضة مصر القاهرة.

[٣]دراسات في الأدب المعاصر د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ١٧٣ طبعة دار الطباعة المحمدية.

بينما يرى الإمام عبد القـــاهر الجرجـــاني أن الأســـلوب هـــو " طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني فى قصد الإيضـــاح والتأثير أو الضرب من النظم والطريقة فيه "[١].

أما صاحب لسان العرب يقول إنه هو : " الفن مـــن القـــول أو الطريقة أو الوجه والمذهب فى بعض الأحيان "[٢].

ومما لا يخفى على أحد أن أسلوب المدح متوسط على العمـــوم فليس كالحماسة العنيفة ولا النسيب الرقيق، وإنما يخضع للجزالة غالبا وللسهولة أحيانا[٣].

أسلوب محمد على مخلوف :

إن من يمعن النظر فى أسلوب مخلوف بصفة عامة يجده سهلا واضحاً ومعظمه خبرى لأنه يمدح الرسول - صلى الله عليه وســـلم - ويحكى عن ميلاده - عليه صلوات الله وأفضل السلام - والإرهاصـــات التى سبقت ولادته ومعجزاته - صلى الله عليه وسلم - ثـــم هجرتـــه النبوية إلخ.....".

ومن خصائص أسلوب مخلوف أنه كان يكثر من وسائل التوكيد فى صوره أو غير ذلك من وسائل التوكيد كالتكرار اللفظى.

---

(١) راجع الصناعتين لأبي هلال العسكرى ص ١٤٧ طبعة صبيح ســـنة ١٩٤٨م والمثـــل السائر لابن الأثير ص ٣٠٠ طبعة نهضة مصر القاهرة.

(٢) لسان العرب لابن منظور (١ : ٢٠٥٨) طبعة دار المعارف.

(٣) الأسلوب للأستاذ أحمد الشايب ص ٨٨.

ومن صور التوكيد بالحروف عنده قوله :

أترع لى الكأس يحلو رشفها بفمى إنى إليها على قفر الحياة ظمى

فقد أكد الجملة الاسمية بالحرف (إن) ليؤكد أنه ظمآن ومشتاق ومتلهف لرشف الكأس .

ومن التوكيد بالحرف والجملة الاسمية قوله :

محضتنى النصح لكن لست أسمعه إن المحب عن العذال فى صمم
إنى اتهمت نصيح الشيب فى عذل والشيب أبعد فى نصح عن التهم
فإن إمارتى بالسوء ما اتعظت من جهلها ابتداء الشيب والهرم

فالأبيات الثلاثة مؤكدة بالحرف " إن " والجملة الاسمية فقد أكد أن المحب فى صمم عن العذال فى البيت الأول ، وأكد أيضا اتهامه فى عذل لنصيح الشباب فى البيت الثانى ، وفى الثالث أكد أن أمارته بالسوء لم تتعظ بنذير الشيب والهرم .

ومن التوكيد بالتكرار اللفظى قوله :

محمد صاحب الآلاء مسبغة على البرية من عرب ومن عجم
محمد هو روح العدل فى أمم محمد هو أمن الخائف الزئم

فقد كرر لفظ محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلاث مرات للتوكيد وللتلذذ بذكره .

ومن التكرار اللفظى أيضا قوله :

وأهل ساوة قد جفت بحيرتهم فأصبحوا الذهاب الماء فى دقم

وأطفأ الله نيران المجوس وقد مرت قرون عليها وهى فى حدم

فقد كرر لفظ " قد " مرتين ليؤكد جفاف بحيرة ساوة وأن نيران المجوس قد مرت قرون عليها وهى مشتعلة فكلمة " قد " أفادت تحقق الوقوع .

ومن التوكيد بالتقديم والتأخير قوله :

لسدرة المنتهى كان اللقاء بلا كيف وأعطاك ما أرضاك ذو الكرم

فقد تقدم الجار والمجرور على متعلقه للاهتمام وتلذذ اللسان بذكره فى صورة أدبية مستمدة من الحقيقة لا الخيال[١] .

أما التوكيد بتقديم المسند على المسند إليه فمنه قوله :

وفى يديك كتاب جل منزله يزيل كل فساد حل بالقمم

" كتاب للاهتمام وعلو المنزلة فى صورة أدبية مستمدة من حقائق المعانى اللغوية التى تواضع عليها علماء اللغة[٢] .

كما أن من خصائص أسلوب مخلوف الاقتباس عن طريق المعنى ومن ذلك قوله :

من بهده الله ينعم فى الحياة ومن أضله راح يقضى العمر فى غمم

---

(١) الصورة الأدبية تأريخ ونقد د / على على صبح مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ١٩٨٣ م .

(٢) البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر د / على على صبح .

حيث أن معنى البيت موافق لكثير من آيات القرآن الكريم التـــى وردت فيها المقارنة بين الضلال والهدى مثل قوله تعالى :

{ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً }[1]

وقد غلب الأسلوب الخبرى عند مخلوف فى مطولته هذه علـــى الأسلوب الإنشائى فالقصيدة على طولها لم يأت منها مـــن الأســلوب الإنشائى إلا اثنا عشر بيتاً اشتملت على النداء للدلالة والتبرك بالحبيب " محمد " عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ــ ولم يأت الأمـــر إلا فـــى البيتين (١ ، ١٣٩)

وقوله :

انظر إلى أمة الإسلام فهى غـــدت من بعد عزتها فى ذلة الخـــدم

فقد خرج الأمر إلى معنى مجازى هو التعجب والأسى والحسرة من حال المسلمين لما آل إليه حالهم فى هذه الأيام .

أما الأمر فى البيت الأول وهو قوله :

أنزع لى الكأس يحلو رشفها بفمـــى إنى إليها على قفر الحياة ظمـــى

ومن خصائص أسلوب مخلوف أيضاً أنه كان مقتصداً فـــى المحسنات البديعية .

فمن المقابلة عنده قوله :

ويعصب البطن من تأثير مسـبغة القوم فى شبع يشكون من تخم

---

[1] من الآية ١٧ من سورة الكهف .

فالبيت مقابلة بديعية بين زهد المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لدرجة أنه يعصب بطنه من شدة الجوع فى حين أن القوم يشبعون ويأكلون لدرجة التخمة وهذا يدل على الفارق الكبير بين أخلاق النبوة وسائر البشر وهذا ما أفادته المقابلة بين الطرفين .

ومن المقابلة أيضا :

من يهده الله ينعم فى الحياة ومن أشله راح يقضى العمر فى غمم

فجمال المقابلة واضح بين شطرى البيت ، حال من أنعم الله عليه بنعمة الهدى ، ومن أضله الله تعالى فيقضى عمره فى ظلام وضلال ، وللمرء أن يقارن بينهما ويختار أيهما يشاء .

أما الطباق الخفى فمنه :

لهم مفاخر بين العرب ظاهرة أثارها الغر فى سهل وفى علم

فبين قوله : " سهل وعلم " طباق خفى وفائدته الدلالة على شمول الفخر فى العرب فى كل مكان .

بينما قوله :

خير الدساتير لا التعديل يلحقه يوما لنقص ولا التبديل فى الكلم

فالبيت فيه لون من المحسنات البديعية وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم .

ومن تقديم المسند على المسند إليه قوله :

لهم مفاخر بين العرب ظاهرة آثارها الغر فى سهل وفى علم

فقد قدم المسند " لهم " على المسند إليه " مفاخر " لإفادة الاختصاص أو القصر ، كأن المفاخر مقصورة عليهم لا تتعداهم إلى غيرهم وهذا ببركة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم .

ومن أسلوب القصر عنده أيضا :

ولا يقوم غير السيف من أود فيهم ويحسم داء غير منحسم

حيث قصر تقويم عوج هؤلاء الظلمة اليهود على السيف وفى ذلك إيحاء أنه لا يصلح معهم إلا القوة .

أسلوب أبو زيد إبراهيم سيد :

أما أسلوب أبو زيد إبراهيم سيد اشتمل أيضا على الأسلوبين الخبرى والإنشائى وإن كان الأسلوب الإنشائى أقل من الأسلوب الخبرى حيث أن الأساليب الإنشائية فيها بلغت عشرون بيتاً من جملة القصيدة البالغ عددها ثلاثة وستون ومائة بيت وهم الأبيات (١ ، ٢ ، ٢٥ ، ٦٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ثلاثة منها اعتمدت على الاستفهام وهى (١ ، ١١١ ، ١٤٩) ، وواحد اعتمد على النداء والأمر وهو البيت رقم (١٦٣) وبقية الأبيات اشتملت على النداء فقط .

ففى قوله البيت الأول :

ماذا أقول وما يفضى به قلمى فإن مدحك فوق الوصف والكلم

استفهام خرج إلى معنى مجازى وهو التعجب والاستبعاد أما الاستفهام فى البيت (١١١) فقد خرج إلى معنى مجازى أيضاً وهو التحقيق والتثبيت وفيه تعريض .

أما قوله فى البيت (١٤٩) :

أين البلاد التى كنا الشموس بها فى الشرق والغرب كنا قادة الأمم

استفهام مجازى خرج إلى معنى التحسر والتوجع والأسى لما صار إليه حال المسلمين الآن .

وكذلك البيت (١٦٣) وهو :

يا رب واجعل بلاد المسلمين بها كل الرخاء وكل الخير والسلم

فقد اجتمع فيه النداء والأمر فى قوله : " يا رب ، واجعل " النداء للاستغاثة والتبرك أما الأمر فقد خرج إلى معنى مجازى وهو الدعاء .

أما بقية الأبيات التسعة عشر فقد اعتمدت على نداء الحبيب ــ صلى الله عليه وسلم ــ بوصف من أوصافه وذلك فيه نوع من التبرك والتوسل بالمصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهذا مما يثير حواس المتلقى ويشد انتباهه .

ومن ينظر بتأن وروية فى نهج نهج البردة يجد صاحبها لم يجنح إلى التكلف والتعقيد ، كما أنه لم يسرف فى استعمال المحسنات البديعية ولم يستعمل من المحسنات البديعية المعنوية إلا نوعين هما : براعة الاستهلال وحسن الانتهاء والتخلص من آخرها .

كما لا يخفى على أحد ما اتسم به أسلوب شاعرنا " أبـــى زيـــد إبراهيم سيد " من صور التوكيد بوســـائله المختلفـــة ســـواء أكـــانت بالحروف أم بالجملة الاسمية أم غيرها من بقية صور التأكيد .

ومن التوكيد بالحروف على ســـبيل المثـــال ــ لا الحصـــر ــ قوله :

إنى لأعجب للقوم الألـــى ذهبـــوا لغير دستور رب بارئ النســـم

وكذلك قوله :

لا غرو أن قلت إذ عيناك أغمضتـــا إن نامت العين إن القلب لم ينـم

فقد أكد أن القلب لم ينم حتى لو نامت العين .

ومن هذا النوع قوله :

فلتحضروه حثيثـــا كـــى أشـــاهده إنى لرؤيته فى شـــدة النـــهم

فقد أكد الراهب بحيرا شدة نهمه لرؤية الحبيب محمد ــ صلـــى الله عليه وسلم .

كما كثر عنده التوكيد بالجملة الاسمية ومنه قوله :

إنى لأذكـــر أمجـــادا لنـــا خلـــدت وأذكر الآن ما فينا من الوصم

فقد أكد ذكرى الأمجاد الخالدة فى الشـــطرة الأولـــى بالجملـــة الاسمية كما كثر عنده التوكيد بالتكرار اللفظى وذلك فى مثل قوله :

وأنت أنت كتاب الله فـــى خلـــق وأنت مستودع الأسرار والحكـم

فقد ذكر لفظ المسند إليه " أنت " مرتين فى هذا البيـــت لإفـــادة التوكيد .

ومن التوكيد بالتكرار اللفظى أيضا قوله :

وأنت أنت تنـــادى يـــا محمدنـــا اشفع تشفع أيا مختار فى الأمم

فقد اعتمد البيـــت علـــى التكـــرار اللفظـــى لإفـــادة التوكيـــد وللتلذذ بذكره ونكتفى بذكر هذين المثالين للتدليل على هـــذه الظـــاهرة الأسلوبية .

أما قوله :

هو الكتاب الذى أعيت فصاحتـــه أهل الفصاحة والعرفان والحكـم

فقد تقدم المسند إليه " هو " على المسند " الكتاب " لأهميته

ومن تقديم المسند إليه أيضا قوله :

صليت بالقدس حيث الأنبياء لـهم أنت الإمام وخير الخلق من ئ م

فقد تقدم المسند إليه " أنت " على المسند " الإمام " للاختصاص والقصر أى قصر الإمامة على النبى ــ صلى الله عليه وسلم .

ومن تقديم المسند إليه للتعظيم قوله :

أنت اليتيم الذى قد مات والـــــده ولم يزل ساطعاً فى عالم الرحـم

فقد تقدم المسند إليه " أنت " على المسند " اليتيم " للتعظيم .

أما تقديم المسند على المسند إليه فمنه قوله :

قالوا لك الملك والأموال نجعلـــها وأنت سيدنا المرعى فى الحـــوم

فقد تقدم المسند وهو الجار والمجرور " لك " على المسند إليـــه " الملك " لإفادة التخصيص والقصر .

أما قوله :

تلك المعية قـــدر ليـس يدركـه سواك يا منبع الأنوار والقيـم

فقد عرف المسند إليه باسم الإشارة الدال على البعد لما فيه من معنى التعظيم والارتفاع وعلو المكانة مثل قوله تعالى :

{ ذلك الكتاب لا ريب فيه }[١]

وقوله أيضا :

هذا الكتاب الذى أحيا الحياة وقـد كان انطلاقا لها من نومة العدم

فقد عرف المسند إليه باسم الإشارة الدال على القرب للدلالـــة على قرب القرآن من نفوس المؤمنين .

أما قوله :

يا رب صل على الهادى وعترتـــه خير البرية خير الخلق كلـــهم

يا رب وانصر على الأعداء أمتنـــا وحرر القدس من عاد ومنتقم

يا رب واجعل بلاد المسلمين بـــها كل الرخاء وكل الخير والسلم

فقد خرج الأمر فى الأفعال الثلاثة " صل ، وانصـــر ، وحـــرر " إلى معنى مجازى وهو الدعاء .

كما أن من خصائص صاحب نهج نهج البردة أنه يميـــل إلـــى الاقتباس من معانى القرآن الكريم ومن ذلك قوله :

كم قلـــة بإلـــه العـــرش مؤمنـــة أردت ألوفا ودكت عاتى الأطم

فالبيت مقتبس معناه من قوله تعالى : { كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله }[٢]

---

[١] من الآية ٢ من سورة البقرة .

[٢] من الآية رقم ٢٤٦ من سورة البقرة .

خامساً : الصور الأدبية والأخيلة عند الشاعرين :

الصور الأدبية والأخيلة عند مخلوف :

أولا : الصور الأدبية :

لقد زخرت مطولته بعناصر الصورة الأدبية واستوفت عناصرها وسنكتفى بذكر مثال أو مثالين لكل نوع للتدليل على استيفاء عناصر الصورة عنده فمن عنصر الصوت قوله:

يكبرون إذا ريح الوغى عصفت ويزأرون زئير الأسد فى الأجم

ففي قوله : " يكبرون " ويزأرون " ما يدل على صوت

ومن عناصر الصوت أيضاً :

يا صاحب الجاه عند الله معذرة إنى لأصرخ كالمذبوح من ألم

فلفظ " أصرخ " يدل على الصوت المرتفع.

وإن تحدث فالأسماع صاغية حديثه لذ للأسماع كالنعم

ففي قوله " وإن تحدث ، وحديثه، وكالنغم " مما يدل على صوت .

أما عنصر اللون فقد وجد منه اللون الحسِّى والمعنوى :

فمن اللون الحسى قوله :

يا ساريا في الدجى والليل معتكر سنا محياك يمحو قاتم الغسم

فلفظ " الدجى " بمعنى الظلام، وقاتم الغسم بمعنى شدة السواد، والظلام بمعنى السواد أيضا والسواد من الألوان الحسية.

ومن اللون الحسىّ أيضاً عنده قوله :

أتوب من شرك قلبي فى هوى قمر سنا محياه يمحو حندس الظلم

فلفظ " حندس الظلم " أى الحالك من السواد، والسواد – كما ذكرنا من الألوان الحسية.

أما اللون المعنوى فمنه قوله :

شق الإله له البدر المنير فقد رآه بالعين من في الليل لم ينم

فلفظ " البدر المنير " ما يوحى بالبهجة والسرور وهما من الألوان المعنوية إذ فيهما معنى يشبه اللون.

بينما عنصر الرائحة فمنه قوله :

نظيف ثوب وجسم ريحه عطر كجونة المسك والأزهار فى النسم

فقوله : " ريحه عطر كجونة المسك والأزهار فى النسم " ما يدل على طيب رائحته الذكية – صلى الله عليه وسلم – وأن رائحته كرائحة المسك وهو أجود أنواع الطيب.

ومن عنصر الحركة قوله:

يطوى المسافات لا الصاروخ يدركه ولا الرياح التى تجرى بلا لجم

فلفظ " يطوى ، تجرى " يدل على سرعة الحركة

ومن عنصر الحركة أيضاً قوله :

والمال قد سال نبعاً من أصابعه يروى الغليل به في الحر كل ظمى

فلفظ " سال " يدل على الحركة.

أما عنصر الشكل فمنه قوله :

وسجف العنكبوت الغار وارتجزت أمام مدخله ورقاء بالرنم

فنسيج العنكبوت على باب الغار وبيض الورقاء فى عشها مما يدل على أن شكل الغار مهجور، وليس بداخله أحد.

ثانياً : الأخيلة :

مما لاريب فيه أن الخيال عنصر رئيس فى قرض الشعر ونظمه إذ هو ملكة يستطيع الأدباء بواسطتها أن يؤلفوا صورهم ليس من الهواء بل من إحساسات سابقة - لا حصر لها - تخزنها عقولهم وتظل كامنة فى مخيلتهم حتى تتاح الفرصة ويجئ الوقت المناسب فيؤلفوا منها الصور التى غبونها[١].

والخيال هو الرابطة بين عالم الشعور وعالم الإدراك والفهم وهو ليس مرآة جامدة تعكس أفكارا وصوراً فى نفس الشاعر بل هو أداة حية تزاول عملها فى ذاكرة الشاعر التى تحتفظ بكل ما يراه ويسمعه ويحسه وينفعل به طول حياته.

وإن الخيال وليد العاطفة الحارة، والشعر الحى الفياض، كما أن الحقيقة لغة العقل والفكر، والخيال والعقل غير متناقضين بل هما يسيران معا جنباً إلى جنب في الكشف عن جوهر الحقائق ولبها المكنون[٢].

---

[١] راجع في النقد الأدبي د/ شوقى ضيف ص ١٦٧ سادسة دار المعارف سنة ١٩٨١م.

[٢] دراسات في النقد الأدبي د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٣٩ طبعة أولى.

ويقول كولردج : إن الخيال هو القدرة التى بواسطتها تستطيع صورة معينة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس في القصيدة فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالقهر[١].

وقد ذهب شلنح فى فلسفته إلى أن الخيال هو الوسيلة الأولى فى إدراك أية حقيقة وأن الفن هو المعبد الذى تحوم حوله بقية فروع المعرفة[٢].

أما أستاذنا الدكتور على على صبح – أطال الله فى عمره وأبقاه – يرى أن الخيال هو " ملكة فى نفس الأديب تخلق التوازن بين الأشياء وتؤلف بين المتناقضات وتوفق بين المتعارضات وتمزج بين الإحساس الجديد الطارئ وبين القديم والمخزون فى النفس وتركب بين الواقع المرئى المشاهد وبين الواقع المذاب فى الذهن وتنظم بين الانفعال العادى وبين الدرجة العالية فيه، ليتم من وراء ذلك تأليف صور الخيال المختلفة[٣].

ويرى أستاذنا الدكتور/ على محمد على طلب – أكرمه الله بالصحة والعافية وحفظه من كل سوء – " أن هناك ارتباط وثيق بين

---

[١]كولردج ص ١٥٨ ترجمة د/ محمد مصطفى بدوى طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م .

[٢]فن الشعر لأرسطو ص ١٤٧ ترجمة عبد الرحمن بدوى طبعة القاهرة.

[٣]البناء الفنى للصورة الأدبية د/ على على صبح المكتبة الأزهرية للتراث الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٩٦٦م.

خيال الشعراء وعاطفتهم، فقوة الخيال مرتبطة بقوة العاطفة ، ومن ثم كان للخيال تأثير قوى فى النفوس والأسماع إذا كان يعبر عن عاطفة صادقة وانفعالات قوية" [١].

ويرى بعض نقادنا المحدثين أن الخيال ملكة خصبة تقدر على تخيل الأشياء وتصوير العواطف والأراء تخيلاً وتصوراً يوضح لنا نواحيها الغامضة ويعرض علينا ما فيها من أسباب الروعة والجمال عرضاً مؤثراً تحسبه حقيقة، أو كالحقيقة الملموسة يأخذ الشاعر الأشياء المألوفة التى يراها الناس ويحسون بها جميعاً ثم يعمل فيها خياله فيخرجها فى صورة جديدة لم تكن تتوهمها[٢].

ولقد تمتع مخلوف بثقافات واسعة ومتنوعة الاتجاهات والمظاهر مما أدى إلى سمو خياله ورقيه فجاءت أشعاره مصورة أحاسيسه أدق تصوير بما قامت عليه من التشبيه المصيب والتمثيل الدقيق والاستعارة الرائعة إذ إن هذه الأساليب البلاغية الصادقة تعتمد على الخيال اعتماداً واسعاً فالخيال عن طريقها ينقل الأشياء من واقعها الحسى إلى واقع جديد وهو يؤلف بين الأشياء المتباعدة أو يبعث

---

[١] الشعر فى عصر المأمون د/ على محمد على طلب ص ٢٩٦ طبعة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

[٢] انظر المعتز وتراثه فى الأدب والنقدج د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٣٠١ طبعة البيان.

الحياة فيما لا يعقل في النفس من الحقيقة فالمجاز عند بعـ ض النقـاد أبلغ من الحقيقة إذ هو أحسن موقعا في القلب والأسماع لما فيه مـن توضيح المعنى وتوكيده وإبراز الشئ المعنوى فى صور المحسـوس ولابد للخيال أن يتعارض مع العاطفة حتى يؤتى الثمرة المرجوة أما إذا انفصل الخيال وتجرد من العاطفة كان نتاج الشاعر كالجسد بـلا روح، وكذلك إذا خلا الأدب من الخيال ضاقت دائرته وكان قريبا من العواطف الفردية الجزئية الخالية من التأثير[1].

ولقد توفر لشاعرينا اللذين تناولتهما بالدراسة ممـا أعانـهما على سمو خيالهما ورقيه والإتيان بكل عجيب يبهر ببراعـة الوصـف ويسحر بروعة التصوير.

أولاً : الصور الجزئية :

أ- التشبيه لقد حفلت مطولته بأنواع التشبيه فمن التشبيه البليـغ على سبيل المثال لا الحصر قوله :

أتوب من شرك قلبي فى هوى قمر سنا محياه يمحو حندس الظلم

فقوله : " هوى قمر " تشبيه بليغ حيث شبه الرسول – صلـى الله عليه وسلم – بالقمر الذى يكشف الظلام بنوره وإشراقه.

---

[1] راجع الأصول الفنية للأدب للأستاذ عبد الحميد حسن ص ١٤٩ طبعة العلوم القـاهرة سنة ١٩٦٤م.

ومن التشبيه أيضا قوله :

والنفس تخدعها الدنيا بزخرفها وتطبيها بألوان من الطعـــم

كأنها صخرة صماء قد صلدت فما تحرك من عصف ولا نسم

فقد شبه النفس بالصخرة الصماء التى لا تلين.

ومن هذا النوع أيضاً قوله:

وكان كالغيث يروى كل مجدبة في الأرض ما بين منهل ومنسجم

حيث شبه المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بالغيث الـــذى يروى ظمأ كل شئ واختيار لفظ " الغيث " دون مرادفاته للدلالة على ما في الغيث من الإنقاذ، فكذلك النبي – صلى الله عليـــه وســـلم – أنقـــذ الناس من الضلال والهلاك.

كما أن من التشبيه أيضاً قوله :

وكان فجراً مضيئا لاح في الظلم وكان ركن بناء غير منهدم

حيث شبه الرسول – عليه الصلاة وأزكى السلام بالفجر الـــذى يضئ الظلمات، كما شبهه ثانياً في الشطرة الثانية بركن البناء المتيـــن الذي لا يستطيع أحد هدمه مهما أوتى من قوة.

ومن هذا النوع أيضاً قوله:

آياته بينات كلها جمعـــت حقائق العلم والأحكام والحكم

بليغة لا تبارى في بلاغتها كأنها العقد من در ومن تـــرم

ففي الشطرة الثانية من البيت الثاني تشبيه رائع حيث شبه انتظام الآيات ونظمها في أسلوبها وبلاغتها وإعجاب كل من يسمعها بالعقد المؤلف من الدر والأحجار الكريمة تنال إعجاب الناظرين.

ومن التشبيه أيضاً قوله :

يكبرون إذا ريح الوغى عصفت ويزأرون زئير الأسد في الأجم

ففي الشطرة الثانية من البيت تشبيه رائق حيث شبه صوت المحاربين من المهاجرين والأنصار بزئير الأسد في الغابة ، وذلك مبالغة في إرجاف عدوهم وإلقاء الرعب في قلبه.

كما أن التشبيه أيضاً قوله :

سارا إلى طيبة الغراء فابتهجت حسانها وشدت كالطير فى نغم.

حيث شبه الفتيات الحسان في المدينة المنورة وهن فرحات بمجيئه – صلى الله عليه وسلم – وهن ينشدن الأناشيد طربا وفرحاً بمقدم رسول الله – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم با لطير الذى يشدو.

ومن التشبيه أيضاً قوله:

وقبلهم كانت الأوهام سائدة وحاكم القوم ذئب عاث في غنم

ففي الشطرة الثانية من البيت تشبيه جميل حيث شبه الحاكم قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم – بالذئب فى كثرة البطش والفتك في قومه.

ب- الاستعارة :

قد زخرت طراز البردة بأنواع الاستعارة وسنكتفى بذكر مثـــال على كل نوع للتدليل على تلك الظاهرة.

فمن الاستعارة المكنية قوله:

والنفس تخدعها الدنيا بزخرفها وتطبيها بألوان من الطعم

فقد شبه الدنيا بإنسان يخدع، ثم حذف المشبه به، ودل عليـــه بشئ من لوازمه وهو الخداع والزخرف على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن الاستعارة التبعية في الفعل المضارع قوله :

تغشى السعادة أهل الأرض قاطبة إذا تمسك أهل الأرض بالقيم

حيث شبه تنعم أهل الأرض فى رغد السعادة بالشئ الذى يغطى الإنسان بأكمله. ثم استعار الغشاء للحالة المعنوية التـــى يشـــعر بـــها الإنسان أثناء السعادة للمبالغة في شمول السعادة لجميع أجزائه كأنـــها تغطيه من جميع جوانبه.

أما الاستعارة الأصلية المرشحة فمنها قوله:

المطعمون ونار الحدب موقدة كل الجياع الألى حلوا بحيهم

ففى لفظ " نار " استعارة أصلية مرشحة، حيث استعار النار لما يحس به الإنسان من المرارة أثناء الجوع، ورشح الاستعارة بقولـــه " موقدة" لأنها من خصائص المستعار منه وهو " النار " وذلك مبالغة فى قوة الاستعارة.

بينما الاستعارة التمثيلية فمنها قوله :

تبين عند اشتداد الحرب همته ويملأ الرعب منه قلب كل كمى

ففي قوله : " ويملأ الرعب منه قلب كل كمى " استعارة تمثيلية حيث شبه الرعب فى قلب الإنسان واشتماله عليه بهيئة المـــاء الـــذى يصب فى الإناء، وفي هذا مبالغة عظيمة على مدى الرعب الذي قذفـــه المولى تبارك وتعالى – فى قلوب الكفار من شـــجاعته – صلـــى الله عليه وسلم.

جـ - الكناية :

لقد زخرت مطولته بالكناية وسنكتفى بذكر مثلين لندلـــل علـــى هذا النوع فمن الكناية عنده قوله :

فقيصر الروم إظلام لأمته مخضوبتان يداه دائما بدم

ففي الشطرة الثانية كناية عن صفة وهى شدة البطش والظلـــم والفجور لقيصر الروم لدرجة أن يديه تكاد لا تنفك عن الدم أبدا.

ومن الكناية عن صفة أيضا قوله :

نظيف ثوب وجسم ريحه عطرة كجونة المسك والأزهار في النسم

في الشطرة الأولى كناية عن صفة وهى عظم عفته وطهارتـــه صلى الله عليه وسلم –.

ثانياً :الصورة الأدبية والأخيلة عند أبى زيد إبراهيم سيد :

أ- الصور الأدبية :

إن الصور الأدبية في شعر أبى زيد إبراهيم سيد حافلة وزاخرة ومستوفاة لعناصر الصورة الأدبية، فعنصر الحركة نجده في قوله :

وكم قلوب بنور الحب واثبة وكم نفوس بحر الشوق في ضرم

ففي قوله : " واثبة " ما يدل على الحركة.

ومن عنصر الحركة أيضاً قوله :

وأنهر من دماء الناس دافقة لدى الحروب وطير ضاق بالرمم

فلفظة " دافقة " تدل على الحركة.

وكذلك من هذا النوع قوله :

حتى مطيتها العجفاء قد سبقت كل المطايا وكانت قبل فى كمم

فقوله : " " سبقت " يدل على حركة.

أما عنصر اللون فلا تخلو الصورة الأدبية منه بحال من الأحوال سواء أكان حسياً كالألوان المعروفة أم كان من الألفاظ التى توحى به من رموز تدل على اللون أو معنى فيه شبه اللون.

فمن اللون الحسى عنده قوله :

فخف عليه يهودا طاش عقلهم وقلبهم أسود الأحقاد كالغسم

فلفظ " أسود " يدل على لون.

ومن ذلك النوع أيضا قوله :

هذا الكتاب الذى أنواره سطعت كالشمس قد سطعت في حالك الظلم

فلفظ " الظلم " يدل على شدة السواد وهو من الألوان الحسية أما اللون المعنوى فمنه قوله في البيت السابق " كالشمس " ؛ لأن لفظ " الشمس " يوحى بالارتياح والفرح والبهجة وهما من الألوان المعنوية إذ فيهما معنى يشبه اللون.

والدجذع قد أنَّ تحنانا وأسكته ∴ خير الوجوه وكان الجذع في برم

لأن لفظ " أنَّ " بمعنى بكى يوحى بالحزن والألم وهما من الألوان الشعرية.

بينما عنصر الصوت قوله:

وقال للركب هل خلفتم أحداً قالوا غلام لحفظ الرحل والنعم

فلفظى " قال، وقالوا " يدلان على صوت.

ومن عنصر الصوت أيضاً قوله :

الضب أنطقه الرحمن معجزة وبالشهادة فاه الضب بالكلم

فلفظى " أنطقه، وفاه " يدلان على الصوت أيضاً.

ومن عنصر الشكل قوله:

والريح والرمل والترب أسلحة إن شاء ربك فوق النار والحمم

ففي الشطرة الأولى ما يدل على شكل الحرب وشدة اندلاعها حين تشتد الريح وتعصف حاملة الرمال والتراب لتعمى بهما وجوه المشركين فهما من أقوى الأسلحة التى تدمر العدو.

ومن عنصر الشكل أيضاً قوله :

وشب أحمد والرحمن حافظه وكان للقوم آيات من العظم

فقوله " شب أحمد " ما يدل على أن شكله قد كبر وتغير عن الصغر.

أما عنصر الطعم فمنه قوله:

ويعرف الحب للمختار ذائقه وذائق الحب غير القول بالكلم

ففي لفظ " ذائق " ما يشعر بلذة طعم حب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ولفظ " ذائق " يستعمل دائماً في الطعم.

ومن عنصر الموقع قوله:

أين البلاد التى كنا الشموس بها في الشرق والغرب كنا قادة الأمم

الفرس والروم كنا صبح نهضتهم ونحن من فجر الأنوار في الظلم

أسبانيا لم تزل فيها حضارتنا وطارق لم يزل في الغرب كالعلم

فالأبيات الثلاثة تدل على موقع البلاد التى فتحها المسلمون في الشرق والغرب أيام طارق بن زياد وخالد بن الوليد.

ثانياً : الأخيلة :

١- الصور الجزئية:

أ- التشبيه :

لقد زخرت نهج البردة بالتشبيهات الرائعة سواء أكانت مفردة أم مركبة فمن التشبيهات المفردة قوله:

وأعين الركب ترنو وهى شاخصة هذى حليمة مثل البرق في الرسم

فقد شبه " حليمة السعدية " رضى الله عنها - بـــالبرق فـــي ســـرعة المشى.

ومن التشبيه أيضاً قوله :

فخف عليه يهودا طاش عقلهم وقلبهم أسود الأحقاد كالغسم

فقد شبه قلوب اليهود بالغسم في السواد وشدة الظلمة.

ومن هذا النوع أيضاً قوله:

هذا الكتاب الذى أنواره سطعت كالشمس قد سطعت في حالك الظلم

فقد شبه القرآن الكريم بالشمس في الوضوح وإضاءة الطريـــق والمنهج في كل وهذا المعنى مستوحى من قول الله عز وجـــل : " إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم "[1].

ومن التشبيه الرائع قوله :

أخلاقهم من سنا الإيمان قد سطعت وإنهم كالنجوم الزهر في العظم

فقد شبه الصحابة والأبطال المسلمين بالنجوم الزهر في العظـــم ورفعة المكانة والوضاءة في كل ، وهذا نوع من الاقتباس الخفى مـــن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أصحابى كالنجوم بأيـــهم اقتديتم اهتديتم "

---

[1] من الآية رقم ٩ من سورة الإسراء.

ومن التشبيه المصيب أيضاً قوله :

مهما زها الكفر فى حشد وأسلحة كالثلج في لهب الإسلام لم يدم

فقد شبه الكفر بالثلج فى عدم الثبوت والاستقرار والفناء وعدم الدوام والبقاء والصمود أمام حماسة الإسلام .

أما التشبيه المركب فمنه قوله :

ومن أحبك كان الحب مصرعه مثل الفراشات قد رفت على الحدم

حيث شبه الصحابة – رضوان الله عليهم – والتفافهم حول الرسول – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – بهيئة الفراشات ودورانها على النار الحامية الشديدة الحرارة.

ب – الاستعارة

لم تحفل نهج نهج البردة بالاستعارة والكنايات كطراز البردة ولن نجد فيها سوى الاستعارة المكنية والتبعية.

ويعرف الحب للمختار ذائقه وذائق الحب غير القول بالكلم

فقد تخيل الحب شيئاً يذاق، ثم حذف المشبه به ودل عليه بشئ من لوازمه وهو الذوق على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن الاستعارة المكنية الرائعة أيضاً قوله :

الليل قد نام واسترخت ذوائبه على الحياة وضاع الحق في الظلم

حيث شبه الليل بإنسان، ثم حذف المشبه به ودل عليه بشئ من لوازمه وهو النوم على سبيل الاستعارة المكنية، كما أنه تخيل

الليل حيوانا مفترساً ثم حذف المشبه به وهو الحيوان المفترس ودل عليه بشئ من لوازمه وهو استرخاء الذوائب على سبيل الاستعارة المكنية التخيلية.

ومن هذا النوع أيضاً قوله :

والفجر قد عصبت عيناه وانفجرت جهالة الكفر طوفانا من الحمم

فقد شبه الفجر بكائن حى له عينان قد عصبتا، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو العينان على سبيل الاستعارة المكنية.

أما الاستعارة التبعية فمنها قوله:

حتى شكا الكون يا رباه مرحمة فالخلق خلقك فالطف واسع الكرم

حيث شبه رغبة الكون بالشكوى .

جـ - الكناية :

أما الكناية فمنها قوله:

وقال للعم الوجه أعرفه هذا المشفع والمبعوث للأمم

فالبيت كناية عن موصوف وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم - بوصفه ونعته في الكتب السابقة.

الصور الكلية عند الشاعرين :

إذا كانت الصورة السابقة من تشبيه واستعارات وكنايات.....الخ صوراً جزئية فإن شاعرينا أبدعا في رسم صورهما

الكلية التى تكونت من عدة صور جزئية تلاحمت وشكلت في النهايـــة صورة كلية بديعة للمعنى الذى يريده كلاهما فلم يعـــد البيـــت وحـــدة مستقلة قائمة بذاتها – كما كان قديماً – وإنما أصبحت القصيدة كـــلا لا يتجزأ تغلب عليها وحدة الموضوع وقصيدة كلا الشاعرين تتضح فيـــها الصور الكلية إذ اشتملت كلاهما على عناصر الصور الجزئية– كمـــا – أثناء حديثنا عن الصور الجزئية من تشبيهات واستعارات وكنايات.

سادساً : الأوزان والموسيقى:

مما لا يدع مجالا للشك أن أبرز نواحى الجمـــال فـــي الشـــعر موسيقاه والموسيقى من أقوى عناصر الصياغة في التجربة الشـعرية، لأنها تدرك بالحواس، ولأن غاية الشعر التعبير عـــن تجربـــة فعليـــة والإيقاع هو الوسيلة الطبيعية للتعبير عن هذا الانفعال، وأن الموسيقى هى تعبير رمزى من شعور أو عاطفة خاصة وعلى نمط خاص وهـــى فى ذاتها فن مستقل له قواعده وأصوله ولكـــن الايقـــاع فيـــه ليـــس مقصوراً عليه – بل لقد نالت الفنون الأخرى حظاً منه يختلف فيـــهما من حيث الشكل والنوع والدرجة والوضوح فالشـــكل فـــي الأدب هـــو صوت تستقبله أذن الناقد ويجرى على ذوقه.

وأما النوع فهو فى الأدب : حركات وسكنات تتمثل في حـــروف صامتة أو علاقات صائبة.

أما الإيقاع فهو يختلف فى درجته حسب الغرض ويبقى ما بقى النص الأدبي متداولا بين الناس.

ومن حيث الوضوح فالأدب أكثر وضوحاً على ذلك ويتضح لنا أن الأدب أقوى إيقاعاً من حيث الشكل والنوع والدرجة والوضوح ولاسيما فى الشعر[1].

وللموسيقى نوعان هما:

١ــ خارجية وهى التى تقوم على الوزن والقافية إذ تنشأ وحدة النغم أو الإيقاع الذى هو أساس جمال الموسيقى، ونطلق على هذا الانسجام الموسيقى أو (وحدة النغم) في الشعر البحر وهو يتألف من مجموعة وحدات إيقاعية نطلق عليها اسم التفعيلات ويتكون منها الوزن الذى يتم عليه بناء القصيدة.

٢ــ داخلية : وهى التى تقوم على جرس الألفاظ وإيحاء اتها الخاصة ونظمها فى صورة صوتية تتنايب مع المعنى وتمثله أفضل تمثيل وكلتاهما تساعد على خطاب العاطفة والوجدان وتتعاون فى كثير من التجارب الشعرية على إحداث التأثير النفسى.

وإن الصلة بين الموسيقى والشعر قوية ووطيدة إذ إن الموسيقى بالنسبة للشعر – كما يقولون – كالألوان بالنسبة للتصوير وكلاهما فن سمعى، وإن مادة الموسيقى هى الأصوات .

---

[1] انظر البناء الفنى للصور الأدبية في الشعر ص٢٤٠ د/ على على صبح

أما مادة الشعر فهى الألفاظ وتتحول إلى أصـــوات فجوهرهمـــا واحد. ولذلك يتحدان أو يكمل أحدهما الآخر فالشاعر إذا نظم قصيـــدة يلحنها له الموسيقى ، وقد يسبق الموسيقى فيصنع لحنا ثم يطلب مـــن الشاعر أن ينظم قصيدة تلائم لحنه فهما فنان يلتقيان وقـــد يتحـــدان، ومما يدل على قوة ارتباطهما أن الشعر يعتمد على الموسيقى فى أدائه ولابد من أن يوضع فى أوزان.

أ- الموسيقى الخارجية - كما ذكرنا آنفـــاً - تعتمـــد علـــى الـــوزن والقافية.

أولا : الوزن :

إن موسيقى الوزن في الصورة الشعرية تعتمد علـــى وحـــدات صوتية تتألف كل وحدة من حركة وسكون فقط أو أكـــثر مـــن حركـــة وسكون وتتكرر هذه الوحدات في كل وزن عروضى وخير دليل علـــى ذلك بحر البسيط الذى جاءت على وزنه القصيدتان اللـــذان نتناولـــهما بالدراسة يتكون من مستفعلن فاعلن أربع مرات فـــالوزن العروضـــى " مستفعلن فاعلن " يتكون من " مس "، " تف " ، " علـــن " " فـــا " ، " علن " وبتكرار هذه الأوزان مع نفسها أكثر من مرة تستقيم بحـــور الشعر وكذلك بقية البحور.

وهذا بعينه ما نجده عند الدكتور " محمد مندور " فـــى كتابـــه الميزان الجديد حيث يقول فى كتابه: وهى انقسام كل بيت إلى تفـــاعيل (التفعيل الأول يساوى الثالث والثاني يساوى الرابع) كما هو الحال فى بحر البسيط والطويل وهذا هو الشكل الموسيقى العام فـــي الصـــورة الشعرية[١].

وأما انسجام كل وزن أو بحر في الصورة مع مضمونه ومعنـــاه فهذا موطن حديثنا في صورة شاعرينا ومعظم النقاد قديمـــا يجمعـــون على أن المدح يناسب البحر البسيط.

ومن ينظر فى الوزن الذى استعمله الشاعران في مدحهما لخير البرية يجده بحر البسيط.

ثانياً : القافية :

إن من ينظر بتأن وروية فى قافية كلا الشاعرين يجد لها أثـــراً قوياً فى موسيقاها ، وإن علماء النحو والعروض قد اختلفوا فى تحديد القافية فيرى بعضهم كالخليل بن أحمد أنها المقطع الأخير في البيت[٢]، وهو يتألف من آخر ساكنين في البيت وما بينهما وأقرب متحرك قبـــل أول الساكنين ، ونحن نوافق هذا الرأى ، لأنه يســـاعد علـــى ثـــراء

---

[١] الميزان الجديد د/ محمد مندور ص ٢٣٤ الطبعة الثالثة.

[٢] العمدة لابن رشيق القيراونى (١ : ١٥١)

موسيقى الصورة في البيت لاشتماله على أكثر من حركـــة وســكون ويتضح ذلك عند الشاعر فعلى سبيل المثال عند محمد على مخلـــوف في قوله:

أراك تـــزور عنى غيـــر مكترث كأننى بك ياذ الحسن لم أهم

ويح المحبين ما انفكوا أولى شجن وشملهم بالتنائى غير ملتئم

فشاعرنا لم يلتزم الميم وحدها في قافية الصورة بل لاحظ ما هو أقوى أثرا في موسيقاها حيث اعتمد فى قافيته على مقطعين لكل منهما وقعة في ثراء الصورة وهى (لم أهم) فالمقطع الأول " لم " والثاني " أهم " وهما معا القافية ثم التزم شاعرنا هذه القافية حتى آخر الصورة هكـذا (ملـ – تئم) في (ملتئم) و (مبـ – تسم) فى (مبتسم) .

أما عند الشاعر أبو زيد إبراهيم سيد فمثل قوله:

ماذا أقول وما يفضى به قلبي فإن مدحك فوق الوصف والكلم

فشاعرنا أبو زيد إبراهيم سيد لم يلتزم الميم وحدها أيضاً فـــي كافية الصورة، بل لاحظ ما أهوى أقوى أثراً فى موسيقاها حيث اعتمد فى قافيته على مقطعين أيضاً – كمخلوف – لكل منهما وقعه في ثـراء الصورة وهى (في ضرم) فالمقطع الأول " فـــي " والمقطـــع الثـــاني " ضرم " وهما معا القافية ثم التزم شاعرنا هذه القافيـــة حتـــى أخـــر الصورة هكذا (بالـ – كلم) في بـــالكلم و (والـــ – كلـــم) فـــي (والكلم).

أما الأخفش وغيره يرون أن المقصود بالقافية الحرف الأخير في البيت ما عدا (الألف والواو والياء والهاء) [١].

بينما يرى الدكتور شكرى عياد أن القافية هى : ضبط خطواتنا في القراءة " وأنها تقوم في موسيقى الكلام بوظيفة تشبه وظيفة قوع الطبول في " الأوركسترا " وأنها أساس في ضبط الإيقاع"[٢]، بينما يقول الدكتور/ إبراهيم أنيس في كتابه والتزام الشاعر بها فى قصيدته " يكون جزءاً هاما من الموسيقى الشعرية فهى بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة .

عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن ... وأن التزام حركة بعينها الروى مما يكسب القافية نغما وموسيقى"[٣].

ويرى أستاذنا الدكتور/ على على صبح أن القافية " هى النغمة المتساوية التى تشد الصورة الجزئية في إطار الصورة الكلية للقصيدة شدا محكما مما يؤكد وحدة الموسيقى وتآلفها مع المعاني الجزئية في الصورة والغرض منها. وتعد قافية كل بيت بمثابة وقفة يستريح فيها نفس الشاعر ليحدد نشاطه مرة أخرى في تركيبة أخرى فى نفس القوة والثراء كسابقتها حتى نهاية الصورة"[٤].

---

[١] العمدة لابن رشيق (١ : ١٥٢) طبعة القاهرة سنة ١٩١٥م.

[٢] موسيقى الشعر د/ شكرى محمد عياد ص ١٠٤.

[٣] الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص ٢٤٦.

[٤] راجع البناء الفنى للصورة الأدبية في الشعر د/ على على صبح ص ٢٥٥.

وتظهر عبقرية شاعرينا فى اختيار قوافيهما وانتقائهما القافيـــة التى تلائم الصورة حتى لا يخشى قارؤها بقلق فيها أو نفور بل يشـــعر أنها تحكى بوقعها حالتهما النفسية وابتهاجهما وسعادتهما بحب الحبيب – صلى الله عليه وسلم – ومدحه.

ب– الموسيقى الداخلية :

إن للإيقاع في الموسيقى الداخلية دور كبير لا يقل عـــن دوره الكبير فى تكييف الوزن الشعرى حسب الحالة النفسية للشـــاعر فـــى صورته .

كما أن الإيقاع يشيع في الصورة الشعرية نوعان من التناســق والانسجام فيها مما يتلاءم مع حالة الشـــاعر النفســـية ممـــا يكســـب الصورة الأدبية قيمة وحيوية تلائـــم حيويـــة الإنســـان فـــى تكوينـــه التركيبي.

ومن ينظر في الموسيقى الداخلية عند شاعرينا يجد لها صفات معينة تنم عن عبقريتهما الفذة فى تصويرهما وأصالتهما في تعبيرهما عنها.

أوجه الشبه بين القصيدتين :

أـ الغرض : كلتا القصيدتين فى مدح خير البرية محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم .

ب ـ الوزن : كلتاهما من بحر البسيط.

ج ــ حروف الروى كلتا القصيدتين رويهما واحد وهو حــرف الميــم الموصولة.

د ــ القافية : يرى الخليل بن أحمد أن القافية تبدأ من آخر حرف فــي البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركــة الحــرف الــذي قبــل الساكن. وقد اتفقت القصيدتان في وجود ثلاث متحركات بين ساكنين.

هــ ــ إنهما قصائد مطولة بلغت طراز البردة (١٤٧) بيتــا، بينمــا بلغت نهج نهج البردة (١٦٣) بيتاً.

أما عرض الأفكار هناك تشابه فى عــرض الأفكــار وتسلســل الأبيات كالتالى :

١ــ الاشتراك في الحديث عن حب النبي – صلى الله عليــه وســلم – ومدحه.

٢ــ كلاهما تحدث عن معجزاته – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٣ــ كل منهما تناول قصة الإسراء والنعراج.

٤ــ كلاهما تحدث عن معجزة القرآن الكريم الخالدة ووصــف الكتــاب الخالد.

٥ــ تحدث كل منهما عن الهجرة النبوية الشريفة وعن غار ثور.

٦ــ تناول كلاهما الإرهاصات التى سبقت مولده – صلــى الله عليــه وسلم – كتصدع إيوان كسرى وخمود نار فارس وجفاف بحيرة ساوة.

٧ــ كلاهما استخدم ألفاظ من المعجم القديم – كما ذكرنا – .

أوجه المفارقة في طراز البردة ونهج البردة.

١ــ بدأ مخلوف طراز بردته ممهداً لفكرته بمقدمة غزلية على عـــادة الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي فقال:

أتزع لى الكأس يحلو رشفها بفمى إنى إليها على قفر الحياة ظمى
فكل من شربوا في الليل قد طربوا ولم أزل حالما بالكوثر الشبـم
أراك تزور عنى غير مكـــترث كأننى بك ياذا الحسن لم أهـم
.... الخ الأبيات

بينما بدأ أبو زيد إبراهيم سيد نهج نهج البردة فى مدح النبـــي – صلى الله عليه وسلم – بأبيات عن حبه – عليه أفضل الصلاة وأتـم التسليم – وهذا مدخل طبعى لمثل هذا العمل الذى كان دافعـــاً لإ ـداع الشاعر.

٢ــ أفاض مخلوف فى وصف هجرته – صلـــى الله عليـــه وســلم – وتحدث عن مؤخاة النبي – صلى الله عليه وسلم – بين المـــــهاجرين والأنصار وذكر موقف المهاجرين والأنصار من الدفاع عن رســول الله – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، كما أفاض الحديث عن غار ثـــور بخلاف أبو زيد إبراهيم سيد فقد أوجز فى حديثه عن الهجرة والغار.

٣ــ تحدث مخلوف عن قناعته – صلى الله عليه وسلم – وزهده وأنه كان يكفيه لقيمات وكان يعصب بطنه من تأثير الجـــوع بينمـــا القـــوم

يشكون من شدة التخمة، كما تحدث عن كرمه – عليه الصلاة والسلام – وأنه كالغيث وقد ذكر أيضاً طيب عنصر النبي – صلى الله عليه وسلم – وأن أباءه من أشرف الناس بخلاف صاحب نهج البردة لم يذكر هذه الأشياء.

٤ـ تأثر مخلوف بمستحدثات العصر واتخذ بعضها مادة في التصوير فالبراق انطلق فى سرعة تفوق الصاروخ وتعجزه عن بلوغ مداه فنراه يقول:

يطوى المسافات لا الصاروخ يدركه ولا الرياح التى تجرى بلا لجم

كما ذكر لفظى " مجلس الأمن وهيئة الأمم " وهما من مستحثات العصر في قوله :

فمجلس الأمن لا تغنى إدانته ولا تعيد حقوقا هيئة الأمم

بخلاف صاحب نهج البردة لم يشر إلى شئ من ذلك.

٥ـ أتى مخلوف في وصفه للقرآن الكريم بمزية جديدة للكتاب الخالد وهى أن العلم الحديث مازال يكشف عن أسرار القرآن الكريم فكم من أسرار اكتشفت في العلم الحديث أشار إليها الكتاب الخالد من قرون مضت ونحن الآن نطالع هذه الاكتشافات وتلك الأسرار فى المجلات والصحف.

٦ــ لقد تأثر مخلوف في طراز البردة بحدث قومى جلل هز ضمير كل عربي ولاسيما فى هذه الأيام وهو احتلال اليهود لفلسطين التى يقع فيها المسجد الأقصى فنراه يقول :

ففي فلسطين أحفاد القرود أتوا بكل مستهجن فى سائر النظم
لا بارك الله أقداما مدنسة تمشى لتفتك بالأعراض فى حرم
هموا قريظة في كل العصور وقد حكمت فيهم ولامعدى لمحتكم

ومن ينظر في الأبيات الثلاث السابقة يذكر الجريمة ويرى أن القوة العربية جمعاء هى الطريق الأمثل لتحرير القدس وإن قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة ما هى إلا مراوغات لتضييع الوقت وبدون جدوى. بينما أبو زيد إبراهيم سيد لم يتطرق إلى هذا المجال.

٧ــ تعرض أبو زيد إبراهيم سيد فى نهج نهج البردة لحادثة شق صدر النبي – صلى الله عليه وسلم – أما محمد على مخلوف لم يتحدث عن هذه الحادثة.

٨ــ كما ذكر صاحب نهج نهج البردة قصة الراهب بحيرا وتفرسه في النبي – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – وهو غلام مع عمه أبى طالب. وذكر أيضا زواجه – صلى الله عليه وسلم – من السيدة خديجة بنت خويلد – رضى الله عنها، بينما صاحب طراز البردة لم يتحدث عن الواقعتين.

٩ــ ذكر صاحب نهج البردة صلاب ولد عدنان – صلى الله عليه وسلم – كما ذكر صاحب الدعوة وتحريره للعقول وبناء الإنسان المسلم وأخلاق الصحابة بينما محمد على مخلوف لم يتطرق فى طواز البردة عن هذه الأشياء.

١٠ــ تحدث أبو زيد إبراهيم سيد عن الجهاد لإعلاء كلمة الله، كما ذكر من أمجاد الإسلام ومآثره ثم ختم مطولته بالدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ومدح النبي – صلى الله عليه وسلم – والتضرع إلى الله .

أما مخلوف ختم مطولته بمدح النبي – صلى الله عليه وسلم – وأنه سمى باسمه تبركاً وتيمنا ثم تضرع إلى الله أن ينصر جيوش المسلمين وأن يغفر له ذنوبه ثم الصلاة على الحبيب محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المميزات في طراز البردة :

تمتاز طراز البردة عن نهج البردة بما يلى :

١ــ انفرد مخلوف بمزية جديدة لوصفه لكتاب الله عز وجل وهى أن العلم الحديث لا يزال لوقتنا هذا يكشف عن أسرار هذا الكتاب الخالد، فكثير من الأسرار اكتشفت في العلم الحديث قد أشار إليها القرآن الكريم من قرون مضت وما زلنا نشاهد هذه الأسرار وتلك الاكتشافات في المجلات والكتب والصحف.

٢ــ وطنية مخلوف وتأثيره بقضية فلسطين واحتلال اليهود لها ، ليوقظوا الضمير العربي وتأثره بمستحدثات عصره وتصويره إياها كالبراق الذي انطلق فى سرعة تفوق الصاروخ وكذكر لفظى " مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة " وهى مؤسسات عالمية حديثة.

٣ــ قد وفق مخلوف فى اختيار مفرداته وجاءت ألفاظه جزلة فخمة رصينة تناسب عصر الممدوح وهو " محمد" – صلى الله عليه وسلم – ومن المفردات التى اختارها لفظ " الغيث " دون مرادفات للدلالة على ما في الغيث من إنقاذ فقد شبه المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بالغيث فى إنقاذه للبشرية جمعاء من الضلال والهلاك إلى النور والتوحيد.

٤ــ طراز البردة لها فضل السبق حيث نظمت فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٧٤م بينما نظمت نهج نهج البردة في ١٩٨٤/١١/١٦م.

المميزات عند أبى زيد إبراهيم سيد :

١ــ لم يبدأ أبيات مطولته بالغزل – كما بدأ غيره لأنه يرى أن المقام لا يناسب الغزل وهو مدح خير البرية – صلى الله عليه وسلم – فبدأ مباشرة بحب الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – لأن هذا هو المدخل الطبيعي لمثل هذا العمل.

٢ــ قد رتب أفكاره على حسب سير الأحداث - بادئـــا بالحيـــاة قبـــل ميلاده - صلى الله عليه وسلم - ومنهيا بدعوته إلى الاعتصام بحبـــل الله المتين ومدحه وتضرعه إلى الله.

المآخذ التى أخذت على طراز البردة :

أولاً : طراز البردة:

يؤخذ على صاحب طراز البردة ما يلى :

١ــ كان الأجدر أن لا يبدأ هذه المطولة بالأبيات الغزلية وخاصة أنـــه يمدح خير البرية أشرف الناس أجمعين.

وإنما يبدأ مباشرة بمدح الرسول - صلى الله عليـــه وســـلم - ولاسيما أنه شاعر أزهرى مسلم.

٢ــ بعد أن تحدث محمد على مخلوف عن الإســـراء والمعـــراج أخـــذ يواصل حديثه فجأة عن الهجرة النبوية بدون تمهيد وكان الأفضل بعـــد انتهائه من معجزة الإسراء والمعراج أن يمهد لهجرتـــه - صلـــى الله عليه وسلم -.

٣ــ تحدث عن معجزاته - صلى الله عليه وسلم - بعد حديثـــه عـــن الكتاب الخالد وكان الأفضل أن يتحدث عن المعجزات أولا إجمالاً ثم بعد ذلك يذكر القرآن ويتحدث عنه تفصيلا على اعتبار أنه معجزة في حـــد ذاته لأنه أظهر المعجزات.

٤ــ وجود بعض الحكم في أبيات القصيدة في غير موضعها اللائق بها مما جعلها مقحمة فى مكانها، وأحدثت اضطرابا فى تسلسل الأحـــداث عن فكرة محددة وهى : كرمه وشجاعته – صلى الله عليه وسلم – إذ يقول :

ولم يعش فى ثراء خازنـــا ذهبـــــا بل كان ينفقه فـــي الصحب والرحم
لا تسأل الناس في البلوى معونتهم فالناس أغلظ أكبـــادا من النعـــم
تبين عند اشتداد الـــحرب همتـــــه ويملأ الرعب منه قلب كل كمـــى

فالبيت الثانى مقحم بين البيت الأول والثالث وأحدث اضطرابـــا فى الحديث عن صفاته – صلى الله عليه وسلم –.

المآخذ التى أخذت على نهج البردة :

١ــ ذكر صاحب نهج نهج البردة الأبيات التى تحكى هجرته – صلـــى الله عليه وسلم – قبل الأبيات التى تتحدث عن معجزاته – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – فلم يراع تسلسل الأحداث وكان الأنســـب ذكـــر أبيات معجزاته – صلى الله عليه وسلم – قبل أبيات الهجرة.

٢ــ أوجز صاحب نهج نهج البردة فى حديثه عن معجزاته – صلى الله عليه وسلم – فلم يذكر انشقاق القمر وتسليم الحجر على – المصطفى صلى الله عليه وسلم – وشكوى الجمل للرسول وتظليل الغمامة لـــه – صلى الله عليه وسلم – وتصيير الجذل سيفا قاطعاً أما صاحب طـــراز البردة قد ذكر كل ذلك بالتفصيل.

خـــاتمـــة

تناولت فى هذا البحث " البردتين بين محمـــد علـــى مخلـــوف وأبى زيد إبراهيم سيد دراسة فنية ونقدية " وبدأت حديثى بتمهيد عـــن المدائح النبوية حيث إنها من التعبير عن العواطف الدينية وباب مـــن الأدب الرفيع، كما أن موضوعها لايزال مجالاً خصباً لإبداع المبدعيـــن من الشعراء وذكرت أن فن المعارضة قديم تمتد جذوره إلـــى العصـــر الجاهلى وقد يعارض شاعر معاصر شاعراً معاصراً له، وقـــد تكـــون المعارضات لأزمان بعيدة، ثم عرفت تعريفاً موجزاً بالشاعرين اللذيـــن ندرسهما وذكرت بعض معاني الكلمات الغامضة، ثم عقدت موازنة بين القصيدتين تحدثت فيها أولاً عن الوحدة الموضوعية والعضوية فى كلتا القصيدتين، وذكرت ثانياً أن كلتا القصيدتين ميمية ومن بحر البســـيط، كما تحدثت ثالثاً عن العاطفة والتجربة في القصيدتين ثم تحدثت رابعـــاً عن الألفاظ والأساليب لدى الشاعرين وذكـــرت خصـــائص أســـلوبهما وأنهما يكثران من استخدام وسائل التوكيد وأحياناً يميلان إلى الاقتباس المعنوى من القرآن الكريم ثم ذكرت الصور الأدبيـــة والأخيلـــة عنـــد الشاعرين وبينت أنهما قد استوفيا عناصر الصورة الشـــعرية ســـواء أكان عنصر اللون أم الصوت أم الحركة أم الطعم أم الرائحة أم الشـــكل أم الموقع ثم تحدثت عن الصور الجزئية والكلية لدى الشـــاعرين ثـــم

ذكرت الأوزان والموسيقى لدى الشاعرين وبينت أوجه الشبه فى القصيدتين، ثم أوجه المفارقة بينهما، كما ذكرت مميزات كل منهما ثم ختمت حديثى بالمؤاخذات التى اتخذت عليهما ثم ذكرت قائمة بأهم المصادر والمراجع.

د/ كمال محمد محمد عبد الرحمن مخلوف

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

فى كلية الدراسات بقنا

قائمة بأهم المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم :

ثانيا :المصادر والمراجع .

١- ابن المعتز وتراثه النقدى د/ محمد عبد المنعم خفاجى - طبعة البيان العربي.

٢- الأسلوب للأستاذ أحمد الشايب - طبعة ثامنة ١٤١١هـ مكتبة النهضة المصرية.

٣- الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس.

٤- الأصول الفنية للأدب للأستاذ عبد الحميد حسن طبعة العلوم القاهرة سنة ١٩٦٤م.

٥- الأغاني لأبى فرج الأصفهاني - طبعة دار الكتب.

٦- البناء الفنى للصورة الأدبية د/ على على صبح - المكتبة الأزهرية.

٧- تاريخ بنى عدى لمحمد على مخلوف - تحقيق ودراسة المرحوم على مخلوف - المجلد الأول ط سنة ١٩٩٠م.

٨- الحيوان لأبي عثمان بن بحر بن محبوب الجاحظ - القاهرة سنة ١٩٠٧م.

٩- دراسات في الأدب المعاصر د/ محمد عبد المنعم خفاجى - طبعة دار الطباعة المحمدية.

١٠- دراسات في النقد الأدبي د/ محمد عبد المنعم خفاجى - طبعة أولى .

١١- ديوان امرئ القيس تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم طبعة خامسة دار المعارف.

١٢- ديوان ألحان ثائرة مخطوط.

١٣- الشعر في ضوء النقد الحديث للأستاذ مصطفى السحرتي طبعة سنة ١٩٤٨م.

١٤- الشعر فى عصر المأمون د/ على محمد على طلب - طبعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

١٥- الصناعتين لأبى هلال العسكرى - القاهرة سنة ١٩٩٢م.

١٦- الصورة الأدبية تأريخ ونقد د/ على على صبح . المكتبة الأزهرية للتراث ١٩٨٣م القاهرة.

١٧- العمدة لابن رشيق القيرواني - طبعة القاهرة سنة ١٩١٥م.

١٨- فن الشعر لأرسطو ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى - طبعة القاهرة.

١٩- في الأدب الجاهلى للدكتور / طه حسين الطبعة الثالثة.

٢٠- في النقد الأدبي لشوقى ضيف – طبعة سادسة – دار المعارف سنة ١٩٨١م.

٢١- القاموس المحيط للفيروزآبادى نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة – المطبعة الأميرية ١٣٠٢هـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢- كولردج ترجمة د/ محمد مصطفى بدوى – طبعة القاهرة.

٢٣- لسان العرب لابن منظور .

٢٤- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى – مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه بمصر.

٢٥- المدائح النبوية لزكى مبارك.

٢٦- المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية.

٢٧- موسيقى الشعر د/ شكرى محمد عياد.

٢٨- الميزان الجديد د/ محمد مندور ص ٢٣٤ الطبعة الثالثة.